جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

حزب التحرير في سوريّة
تجربة التاريخ والحاضر

عرابي عبد الحي عرابي
ساعد في الإعداد:
عاتكة علي عمر

دراسة

وحدة الدراسات
أيلول/سبتمبر 2018

www.jusoor.co

مؤسسة مستقلة متخصصة في إدارة المعلومات وإعداد الدراسات والأبحاث المتعلّقة بالشأن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقانوني في منطقة الشرق الأوسط والشأن السوري بشكل خاص، لمد جسور نحو المسؤولين وصناع القرار في كافة تخصّصات الدولة وقطاعات التنمية لمساعدتهم في اتخاذ القرارات المتوازنة المتعلّقة بقضايا المنطقة من خلال تزويدهم بالمعطيات والتقارير المهنيّة الواقعية الدقيقة.

جميع حقوق الطبع والنشر والنسخ محفوظة لمركز جسور للدراسات – 2018
www.jusoor.co

المحتويات

مقدّمة..... 3

الفصل التمهيدي: "حزب التحرير بين "إرث التاريخ" و"سطوة المبادئ"..... 3

أولاً: مدخل تاريخي..... 3

1. "التأسّس والركود"..... 3
2. الانطلاق..... 4
3. حقبةُ "الركود..... 5

ثانياً: مدخل مفاهيمي: "المبادئ والغايات"..... 7

1. المشروع..... 8
2. المرجعيّات..... 8
3. الوظائف..... 9

الفصل الأوّل: حزب التحرير في سوريّة (تجربة التاريخ والثورة)..... 11

أوّلاً: تجربة الحزب قبل 2011..... 11

1. حقبة ما بعد الاستقلال..... 11
2. حقبة "التسلُّطيّة الأسدية"..... 11

ثانياً: حقبة "الربيع العربي والثورة"..... 12

ثالثاً: الحزب و"الثورة السوريّة"..... 14

1. مرحلة الحراك السلميّ..... 14
2. "الحراك المسلّح"..... 16

رابعاً: "الحزب" بين "المعارضة والتنظيمات الجهاديّة"..... 21

1. الحزب والمعارضة السياسيّة..... 21
2. الحزب و"خلافة البغداديّ"..... 22

الفصل الثاني: حزب التحرير في سوريّة بين "انغلاق التنظيم" و"أفول الفكرة"..... 23

أولاً: "الخلافة وسيلةً وغاية"..... 23

ثانيًا: النشأة والصياغة..... 24

ثالثًا: تحليل واستشراف..... 27

1. شعارات الحزب بين "مثاليّة المطلب" و"انسداد آفاق الواقع"..... 27
2. حزب التحرير "جمود الفاعليّة وخسارة التفاعل"..... 28
3. حزب التحرير "إرث الماضي ومآلات المستقبَل"..... 33

ختمٌ وإيجاز..... 34

مقدّمة

تعَدُّ الحركات الإسلاميّة اليوم من أهمّ الفاعلين المحلّيّين في سورية، بما تمتلكه من شبكات قوّة عسكريّة وقواعد داخليّة استطاعت بناءها منذ عام 2011، ولذا فإنّ المعتدِل منها والراديكاليّ سيصوغ برامجه التالية بهدف الاستمرار في أوساط مجتمع ما بعد الثورة والتمدّد إلى جهات محليّةٍ موازيةٍ أخرى.

وقد حاول حزب التحرير أن يستفيد من حالة المدّ التي عرفتها الحركات الإسلامية في سورية خلال السنوات السابقة، وخاصة السلفية الجهادية منها، والتي يتقاطع معها في تبني فكرة الخلافة، فتبنى أنشطتها في بعض الأحيان، وروّج لأفكارها وسياساتها في أحيان أخرى، واستفاد من حالة الفراغ التي نشأت في المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام، فأنشأ خلاياً ومجموعات متفرقة، وسخّر أتباعه حول العالم لترويج ونشر ما يصدر عن هذه المجموعات وحتى الأشخاص.

ورغم كل الظروف الاستثنائية التي مرّت بها سورية في السنوات السابقة، والتي يفترض أن تُشكّل بيئة خصبة لخطاب الحزب وتوجهاته، إلا أن حضوره بقي محدوداً للغاية، ولم يستفد من حالة "الانتشاء" السلفي الجهادي في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، وبقي في حدود "الظاهرة الصوتية" التي يتشكّل بها في معظم دول المنطقة.

ويمثّل حزب التحرير على العموم حالةً مبهمةً وجليّةً في آنٍ معًا، سواء من حيث تصلُّبه النهائي تجاه رؤاه الفكريّة التي قرّرها في قضيّته السياسيّة -أي إعلان الخلافة- التي يعمل للوصول إليها، أو من حيث إمكانِ تمدّده وتطوير خطابه وأساليبه من القاعدة إلى الذروة.

ولم تحظ تجربة الحزب في سورية، وخاصة بعد 2011، بالدراسة. وربما يعود هذا الأمر في جزء كبير منه إلى ضبابية وجود الحزب في سورية، وظهور خطاباته وأنشطته بشكل متقطع، وغياب ممثليه عن المشهد السياسي المعارض في الداخل أو الخارج، وغيابه في ذات الوقت عن المشهد الفصائلي.

وتحاول هذه الدراسة استكشاف الجوانب المغلقة في بنية الحزب الفكريّة ثم تحليلها بهدف بناء استجلاء لواقعه الميدانيّ في الأرض السوريّة على أساسها، وتقديم تقديرٍ استشرافيٍّ عن المآلات التي قد ينتهي إليها الحزب فيها وسياقاتها.

الفصل التمهيدي: "حزب التحرير بين "إرث التاريخ" و"سطوة المبادئ"

أولاً: مدخل تاريخي

1. "التأسّس والركود"

ترتبط نشأة حزب التحرير بمؤسسه الشيخ "تقيّ الدين النّبهانيّ" الذي كانت تنظيراته وأفكاره المؤثّر الأكبر في مسيرة تشكيل الحزب وثباته إلى يومنا هذا، ومن ثمّ فإنّ الوقوف عند حياة الشيخ وفهم الظروف التي عايشها قبل تشكيله الحزب وبعدها تدفع لفهمٍ أوضح في طبيعة فكره والمسارات التي اتّبعها.[1]

ولد الشيخ تقي الدين النّبهانيّ[2] في قضاء حيفا في فلسطين عام 1909[3]، وكان والده الشيخ "إبراهيم النّبهانيّ" فقيهًا

---

[1] سائر المعلومات التي أنقلها في المدخل التاريخي مقتبسة من مقال: بزوغ نور من المسجد الأقصى، مجلّة الوعي، العدد (234- 235) ضمن https://bit.ly/2C4l1Wq، لذا لا حاجة لتكرار الإحالة إليها.

[2] نسبة لقبيلة بني نبهان من عرب التي استوطنت بادية فلسطين.

[3] ينظر المصادر الآتية: مقال: بزوغ نور من المسجد الأقصى، مجلّة الوعي، العدد (234- 235) https://bit.ly/2C4l1Wq، وينظر ضمن كتاب المسبار للدراسات والبحوث الشهري "حزب التحرير" آب، 2007، المؤسس الشيخ تقي الدين النّبهانيّ، ص 140، وينظَر فكر حزب

ومدرّسًا للعلوم الشرعية في المدارس التابعة لوزارة المعارف الفلسطينية آنذاك. التحق تقي الدين بالثانوية الأزهرية عام 1928م، وانضمّ إثرها إلى كلّية دار العلوم التابعة آنذاك للأزهر بالموازاة مع حضوره -بناء على توصيات جدّه- حَلْقات علميّة في الأزهر، وتخرّج منه عام 1932 حاصلاً على الشهادة العالمية في الشريعة.

عمل "النّبهانيّ" إثر ذلك في سلك التعليم الشرعيّ تحت إشراف وزارة المعارف حتى سنة 1938م إلى أن انتقل لمزاولة مهامّ متعددة في القضاء الشرعي متدرّجًا فيها إلى أن عُيّن قاضيًا شرعيًّا في محكمة الرملة حتى عام 1948م، إلّا أنّه انتقل منها إلى دمشق إثر حادثة "النكبة الفلسطينيّة"، لكنّه عاد في السنة نفسها قاضيًا في محكمة القدس الشرعيّة مع شَغْله منصب قاضي محكمة الاستئناف الشرعية حتى سنة 1950م، وبعدها استقال من عمله وتفرّغ للمحاضرات الفكرية على طلبة المرحلة الثانوية بالكلية العلمية الإسلامية في عمان حتى سنة 1952م.

وتشير ترجمة "مجلّة الوعي" إلى اهتمامه المبكّر بدراسة الحركات والتنظيمات التي نشأت في العالم الإسلاميّ منذ القرن الرابع وأسباب انتشارها ونجاحها أو فشلها، وذلك في إطار إيمان النّبهانيّ بوجوب وجود تكتّل "إسلامي" يعمل على "إعادة الخلافة"، فحاول تحريض "العرب" بمخاطبتهم عبر "الفكر القومي" في "رسالة العرب" و"إنقاذ فلسطين" الصادرتين عام 1950م، مستغلًّا ما عدّه مساحة مشتركة بين "الفكر القومي" و"رسالة الإسلام"؛ لقناعته أن "الإسلام رسالة العرب الخالدة" وأنّ الاستعمار الغربي أشاع الفكر القومي المتطرف ليفرغ العروبة من محتواها الإسلاميّ[4]، إلّا أنّه عدَل عن ذلك وانتقل لمحاوَرة جميع التيّارات في الساحة السياسيّة على الرغم من عدم اقتناعه بمنهجِ أيٍّ منها.

امتدحَ "النّبهانيّ" الشيخ "حسن البنا" في عدّة مجالسَ ممّا أوهمَ "جماعة الإخوان المسلمين" اقتناعَه برؤيتهم فشجّعوا لدعوته للتحدُّث في محاضرةٍ عامّة في الضفة الغربية، ومحاضرة أخرى في القدس، إلّا أنه أثناء محاضرته الأخيرة أشار إلى رفضه رؤية "الإخوان" في بناء المجتمع "إسلاميًّا" من القاعدة إلى رأس الهرم، مؤكّدًا على أنّ "الأمم لا تكون بالأخلاق ، وإنّما تكون بالعقائد التي تعتنقها، وبالأفكار التي تحملها وبالأنظمة التي تطبّقها"[5]، وقد كان وقْعُ إصدار بيان حزب التحرير الأوّل مؤثّرًا في أوساط الجماعة، إذ "أحدث الشقاق" في الوسط الحركي "الإسلاموي"، وعلى الرغم من المناظرة التي جرت بين "سيد قطب" و"النّبهانيّ" لإقناعه بالتراجع عن إنشاء الحزب والعمل تحت مظلّة الجماعة، إلا أن عناده في الرفض دفعت "قطب" لقطع محاولاته والقول: "دعوهم فسينتهون من حيث بدأ الاخوان"[6]

2. الانطلاق

كان لطول تنقّل الشيخ في سلك القضاء أثر بالغ في تعرُّفه إلى "النُّخَب" القانونية والفكرية التي لم تعلن انتماءها لجهة ما، فراح يعرض "عليهم" فكرة إنشاء حزب "سياسي" على "أساس الإسلام" يهدف إلى إنهاض المسلمين وإعادة "عزّهم"؛ كما ساهمَ تَنَقُّله المستمرّ بين مدن "فلسطين" في تكوين قاعدة "نخبوية" تعتنق فكرته وتسعى لتحقيقها. في خضمّ هذه الأحوالِ نرى الشيخ يرشّح نفسه إلى مجلس النواب (الأردني) إلا أنّ النتائج أظهرَت فشله فيها؛ لكنّه في الوقت ذاته اتّفق مع الشيخ "أحمد الداعور" و"نمر المصري" و"داود حمدان" والشيخ "عبد القديم زَلّوم" و"منير شقير"، والشيخ "أسعد بيوض التميمي" وغيرهم، على الالتقاء المستمر في سبيل تحقيق الهدف

التحرير دراسة تحليلية، رائد ناصر أبو عودة، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، 2009، ص 8.

[4] ينظر حزب التحرير، التأسيس المشروع الالتباسات، د. عبد الغني عماد، ضمن "الحركات الإسلامية في الوطن العربي"، ج1/ 698.

[5] ينظَر: التكتل الحزبي، تقي الدين النّبهانيّ، منشورات حزب التحرير، ط1، 1953، ص (17- 19).

[6] ينظر: الدعوة الإسلامية، فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، دار النشر والتوزيع الإسلاميّة، بور سعيد، د.ت، ص (99-102). يشار إلى أن بعض الوسائل الإعلامية تعرّف حزب التحرير على أنّه جماعة منشقّة عن الإخوان، كما في تقرير تلفزيون سوريا https://bit.ly/2Lv0ABH إلا أنّ هذا غير صحيح، فَلْيُتَنَبَّه إليه.

الأوليّ واستقطاب أفرادٍ جدد، واستمرّ الحال كذلك إلى أواخر سنة 1952م عندما تقدّم الشيخ مع أربعةٍ بطلب رسميّ لوزارة الداخلية الأردنية للحصول على رخصة إنشاء حزبٍ سياسيٍّ[7] وفق قانون الجمعيّات العثماني المعمول به، وأن يكون مقرُّه في مدينة "القدس الشريف".

يرى "الحزب" أنّه بتقديم بيانه للحكومة مرفقاً بنظامه الأساسي وبنشره الكيفيّة من قبله في جريدة "الصريح" في عددها 176 الموافق 1953/3/14م، أصبح حزباً قانونياً له الصلاحية بممارسة نشاطات العمل السياسيّ كافّةً؛ إلّا أن الحكومة الأردنيّة استدعت مؤسّسيه الخمسة للتحقيق واعتقلت أربعة منهم، ثم أصدرت بتاريخ 1953/3/22م بياناً نصّت فيه على عدم قانونيّة "حزب التحرير" ومنعه والقائمين عليه من أي عملٍ حزبيٍّ ونزعت إثر ذلك كلّ لافتات الحزب المعلّقة في القدس[8].

تحرّك الشيخ مرغمًا إلى دمشقَ إلا أنّ الحكومة السورية اعتقلته ثم رحّلته إلى لبنان التي منعته سلطاتها من الدخول إلى أراضيها لولا وساطة مفتي الأراضي اللبنانيّة الذي اتّصل بالحكومة لإدخال "النّبهانيّ"، وقد استمرّ أعضاء الحزب في الدعوة إليه في أراضي الضفة الغربية على الرغم من الحظر الحكومي، وقد استقرّت قيادة الحزب للنبهاني بعد إخراج "داود حمدان" و"نمر المصري" من قيادة الحزب عام 1956م، ليُحِلّ محلّهما الشيخ "عبد القديم زلوم"، والشيخ "أحمد الداعور"، وقد كان لدخول الشيخ إلى لبنان فوائد عدة لم تتهيّأ له في القدس أو سوريّة؛ إذ عمل على نشر أفكاره فيها دون مضايقات إلى أن جاء عام 1958 حيث بدأت السلطات اللبنانيّة بالتضييق عليه بعد إدراكها خطورة أفكاره فاضطرّ للعيش فيها متخفّيًا بين مدن بيروت وطرابلس.

عمل "النّبهانيّ" في هذه المدة على كتابة مفاهيم الحزب وتحرير مبادئه في كتبه الكثيرة، واستمرّ على حاله تلك إلى أن توفّي يوم الأحد 1977/12/11 في بيروت -حيث كان يتخفّى- لِيُدفَن في مقبرة "الأوزاعي" مخلِّفًا "إمارة" الحزب للشيخ "عبد القديم زلّوم".

3. حقبةُ "الركود

تبتدئ هذه الحقبة بوفاة المؤسس وتولّي الشيخ "عبد القديم زلّوم" -الذي عُرِف عنه أنّه "ذراع الشيخ اليمنى"- إمارة الحزب بعده، حيث اقتصر دور الحزب هنا على دعم رؤى "النّبهانيّ" وتوجُّهاته في المفاهيم التي صاغها واعتمدها؛ ممّا جعل العهود اللاحقة ظلًّا للمؤسّس وامتدادًا له.

نشأ "الزلّوم" في ظلّ أسرة عُرِفَتْ بخدمتها للمسجد الإبراهيميّ منذ "العهد العثماني"، حيث كانوا يرفعون "العَلَم" على المنبر يوم الجمعة وفي المناسبات والاحتفالات، وقد أتمّ تعليمه في "الأزهر الشريف" ليكون "من حملة الفقه والدعاة إلى الله" فنال الشهادة العالية لكلية الشريعة في الأزهر عام 1947م وشهادة العالمية "الدكتوراة" في تخصّص القضاء عام 1949، انتقل "الزلّوم" إثر ذلك إلى التوجّه المترسّخ في أسرته -أي- العمل التعليميّ والإفتاء الدينيّ، فكان والده مدرّسًا في "الخلافة العثمانية" وكان عمُّ والده مفتيًا وعالمًا معروفًا في مدينة الخليل في تلك الحقبة أيضًا، تلا هذه المرحلة التقاؤه بالنّبهانيّ عام 1952 واستمرار مناقشاتهما إلى حين تأسيس الحزب ثم تكثّفت لقاءاتهما إثر ذلك إلى أن ضمّه "الشيخ" إلى مجلس قيادة الحزب، في إشارةٍ واضحة لاقتناع "زلّوم" بكامل

---

[7] هم: الشيخ تقي الدين رئيسًا للحزب، وأ. داود حمدان -من الرملة- نائبًا للرئيس وسكرتيرًا له، وغانم عبد أمينًا للصندوق، وعادل النابلسي عضوًا، ومنير شقير عضوًا.

[8] أبلغت الحكومة الأردنيّة مؤسسي الحزب "أن معتقدات البرنامج المقترح تتعارض مع روح الدستور الأردني وبنوده. حيثُ أوضحت -على سبيل المثال- أنّ المشروع المقترح لا يقبل مبدأ الحكم الوراثي، كما هو منصوص عليه في الدستور الأردني، وبدلًا من ذلك، دعا البرنامج إلى انتخاب حاكم. ولم يعترف البرنامج بالإضافة إلى ذلك، بالقومية على أنها النمط السائد كأساس للدولة، بل بالدين الإسلامي" ومن ثم فقد اعتبر البرنامج المقترح تحدّيًا لشرعيّة النظام الأردني. ينظَر مقال "حزب التحرير الإسلامي"، د. موسى كيلاني، جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: 2013/6/13، https://bit.ly/2PKZzbT.

رؤى "الشيخ"، واعتماد "النّبهانيّ" المطلَق -بالمقابل- عليه فكان "بحق الساعد الأيمن للأمير المؤسّس، وسهماً في كنانته، يرسله للمهمّات الكبيرة، ويقدّم (الدعوة) على الأهل والولد ومتع الحياة الزائلة" كما كان كثير الترحال في البلاد "فتراه اليوم في تركيّا وغَدًا في العراق، وبعده في مصر ثمّ لبنان والأردن.. وهكذا"، وقد حاول الانضمام إلى المجلس النيابي عام 1954 و1956 إلا أنه لم ينجح "بسبب تزوير الدولة للنتائج" -بحسب مجلّة الوعي-.

تصف مجلّة الوعي الرسميّة عهد زلّوم "القياديّ" بأنه العهد الذي عَلا فيه "صرح الدعوة، وامتدّ ميدان عملها حتى وصل إلى مسلمي آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، كما كان له صدًى في أوروبا وغيرها" في إشارة إلى امتداد الحزب إلى أماكن مترامية من العالم[9]، وقد استمرّ "أميرًا" للحزب حتى جاوز الثمانين[10]، فشهد انتخابات الأمير اللاحق له إثر تنحّيه عن "إمارة الحزب"، حيث اختير "الفقيه والأصولي المهندس" "عطا أبو الرشتة" بتاريخ 2003/04/13 "أميرًا" لحزب التحرير. وقد توفّي "الزلوم" يوم 2003/04/29 في بيروت. عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

ولد "الرشتة" في قرية "رعنا" في محافظة "الخليل" عام 1943 لأسرة متديِّنة "تديُّنَ العامّة"، وقد شهد مأساة فلسطين واحتلال اليهود لها عام 1948 وانتقل وأهله بعد ذلك إلى مخيّمات اللاجئين قرب الخليل حيث أتم دراسته الابتدائية والوسطى فيها، وأكمل الثانوية في الخليل عام 1959 وقد حصل على الشهادة الثانوية العامة المصرية عام 1960 في المدرسة الإبراهيمية في "القدس الشريف"؛ ليلتحق بعد ذلك بكلية الهندسة في جامعة القاهرة حيث تحصّل فيها على البكالوريوس في "الهندسة المدنية" عام 1966.

جديرٌ بالذكر الإشارة إلى أن التحاق "الرشتة" بحزب التحرير كان مبكّرًا، وذلك أثناء دراسته المتوسطة في منتصف الخمسينات، وتدرّج في الأعمال التنظيمية والإدارية بدءًا من "دارس" فعضو فمشرف، فنقيب محلّة، فعضو ولاية، فَمُعتَمَد، فناطق رسمي، فعضو مكتب الأمير، ثم أميرًا[11]، وقد بدت على الحزب -منذ بدء "إمارته"- معالمُ تضخّمٍ إعلاميٍّ تجلّت في ظهور عدد هائلٍ من الناطقين الرسميين له وازدياد نشر الكتب والمطويات الصادرة عنه واستغلال الفضاء الشّبَكيّ بمواقع عديدة على وسائل التواصل الاجتماعي كافّة وصفحات الإنترنت، مما أعطى انطباعاً عن مدى انتشار الحزب بما يتجاوز الواقع[12]، إلا أنّ أغلب مكاتب الحزب الموجودة في نحو 30 بلدًا[13] لم تحظَ بالاعتراف القانوني إلّا في بريطانيا[14] حيث رخّصت الحكومة للحزب وسمحت له بالعمل السياسي

---

[9] نسجّل ههنا ملاحظة أنها فروع إعلاميّة لا أكثر، إذ تفتقر للقواعد الشعبية والكوادر العاملة.

[10] جدير بالذكر أن يشار إلى أن للشيخ عدد من الأعمال المهمّة منها "الأموال في دولة الخلافة"، و"توسيع وتنقيح نظام الحكم" ولعل أهمها كتابه "الديمقراطية نظام كفر" و"منهج حزب التحرير في التغيير"، و"حتميّة صراع الحضارات" إضافة إلى أعمال فقهيّة ومنشورات حزبية أخرى.

[11] أصدر "الرشتة" عددًا من الكتب منها في أصول الفقه: تيسير الوصول إلى الأصول" وفي الاقتصاد "الأزمات الاقتصادية - واقعها ومعالجاتها من وجهة نظر الإسلام"، "الغزوة الصليبية الجديدة في الجزيرة والخليج"، "سياسة التصنيع وبناء الدولة صناعياً" وصدر له في أدبيّات الحزب وترسيخ رؤاه "من مقومات النفسية الإسلامية"، "قضايا سياسية - بلاد المسلمين المحتلة"، "أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة"، "أجهزة دولة الخلافة في الحكم والإدارة" إضافةً إلى توسيع كتاب "مفاهيم سياسية"، ومنشورات أخرى.

[12] ينظر https://bit.ly/2BWPDZZ

[13] منها 11 دولةً عربيّةً هي العراق، الكويت، اليمن، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، مصر، السودان، تونس، المغرب، إضافة إلى فروع "إعلامية" في عشر دولٍ إسلاميّة هي إندونيسيا، تركيا، الباكستان، بنغلادش، إندونيسيا، وبعضها كان من دول الاتحاد السوفييتي السابق كقرغيزيا وأوزبكستان، إضافةً إلى مكتبين له في كينيا، وتنزانيا، وفروع أخرى في الولايات المتحدة، وروسيا، أوكرانيا، ألمانيا، النمسا، "أوروبا"، "إسكندنافيا" هولندا، بريطانيا.

وقد استخلصت هذه الفروع من موقع الحزب ذاته، حيث يذكر امتداداته الإعلامية تحت أيقونة "المكاتب الإعلامية"، ينظر https://bit.ly/2BVF3mg

[14] للاطّلاع الوافي على فروع الحزب وامتداداته في العالم ينظَر دراسات كلّ من: حسام جزماتي في "الحركات الإسلامية في الوطن العربي"، المجلّد الأول، 1. حزب التحرير الإسلامي في بلاد الشام والرافدين، (743- 784) 2. حزب التحرير في الجزيرة والخليج العربي، (875- 794)

في أراضيها، واستطاع عقد مؤتمر للخلافة في برمنغهام عام 2003 حضره أعداد كبيرة من أنصاره فيها إثر تغلغله في أوساط المهاجرين من البلاد الإسلامية[15].

ثانياً: مدخل مفاهيمي: "المبادئ والغايات"

يعرّف الحزب نفسه بأنّه "حزب سياسيٌّ، مبدؤه الإسلام وغايته استئناف الحياة بإقامة دولته واستعادة "الخلافة" التي تنفّذ نظمه وتحمل دعوته، يهدف إلى إنهاض الأمة فكريًّا بتثبيت مفاهيم الإسلام وردّ الأفكار الخاطئة والعقائد الفاسدة، وسياسيًّا بتخليص الأمة من سيطرة "الكفار المستعمرين" وتحريرها من نفوذهم واجتثاث جذورهم كلّها إضافة إلى "مقارعة الحكام" وكشف خياناتهم ومؤامراتهم[16]، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الحزب لا يَقْبلُ أنّ يُصنّف "جماعةً دينيّة أو دعويّة" أو "تكتُّلاً روحيًّا أو علميًّا أو خيريًّا"، سوى أنّه تكتُّل مبنيٌّ على مبدئيّة "الخلافة" التي هي "الروح لجسمه، ونواته وسرُّ حياته"[17] كما أنّها "الوعد الإلهي"[18] الذي لا يتحقّق الإيمان إلا بالعمل على إقامته؛ إذ هي قضيّة "وجود" أو "فناء"[19]، فبات هذا المصطلح حاضرًا في كل حدَثٍ أو بيان، لأنّها -بلغة الحزب- "الصناعة والبضاعة وحافظة الدين والدنيا، والأصل والفصل، وبها تُحَدُّ الحدود وتفتَحُ الفُتوح وترفَع الرؤوس، وبها يجتمع المسلمون في بلد واحد"[20]، وتجب إقامتها "بغض النظر عمّا إذا وافق جمهور الناس أو عارضوها" إذ إنّ هدف إقامة الخلافة "لا يتملّق الشعب ولا يداهنه"[21]، ومن ثمّ ليس مستغرَبًا أن يكون "الحزب" أكثر الأحزاب السياسية دوغمائيّة في الشكل والمضمون الذي يطمح بالوصول إليه في "الدولة"، حيث ميّزته هذه "الدوغمائيّة" عن سائر الأحزاب الإسلاميّة والحركات الدينيّة الأخرى.

وقد سبق "النّبهانيّ" للدعوة إلى ضرورة إعادة "الخلافة" عدد من "علماء الدين" ومفكّريه، كالشيخ سعيد بيران (1865 -1925) الذي قاد ثورة ضد "مصطفى كمال أتاتورك" في محاولة منه لإعادة الخلافة، والشيخ محمد رشيد رضا (1865- 1935) في كتابه "الإمامة العظمى" فما الجديد الذي أتى به "حزب التحرير" في دعوته إلى إقامتها؟

يتمثّل الجديد الذي قدّمه "النّبهانيّ" في محاولته "تأصيل الحكم الإسلامي" تأصيلاً على نحو يشابه إلى حدٍّ كبير

---

3. حزب التحرير: الامتدادات والفروع في العالم، (821- 842) إضافة إلى ممدوح الشيخ، حزب التحرير الإسلامي في وادي النيل (795-806) ودراسة عبد الحكيم أبو اللوز: حزب التحرير الإسلامي في المغرب العربي، (807- 820) في الكتاب ذاته، وليُتنبّه إلى امتدادات الحزب الإعلامية في موقعه ضمن أيقونة "المكاتب الإعلامية"، ينظر https://bit.ly/2BVF3mg، إضافة إلى ذلك ينظر حزب التحرير رؤية مستقبلية، أ.د. أحمد مبارك البغدادي، ضمن كتاب المسبار، 11- 34. ومقال: حزب التحرير، د. عبد الله المدني، https://bit.ly/2PglnLt.

[15] ينظر حزب التحرير، رؤية مستقبلية، ضمن كتاب المسبار عنه، ص16.

[16] ينظر التعريف بحزب التحرير: https://bit.ly/2BW5eJg إضافة إلى مفاهيم حزب التحرير، منشورات الحزب، ط6، 2001: (81).

[17] ينظر تعريف الحزب بنفسه في الموقع، المصدر السابق.

[18] تتكرر هذه الإحالة في أغلب خطابات الحزب وبياناته.

[19] يرى الشيخ النّبهانيّ أن الخلافة بالنسبة للمسلمين كالأم للعائلة، ويستغرب من أن المسلمين يمدون يدهم لمصافحة القاتل، وما يزال سلاحه مخضبًا بدمائها، ينظر: الدولة الإسلامية، منشورات حزب التحرير، ط7، 2002، ص7.

[20] يرى أمير الحزب الحالي أن خطأ منتقدي الحزب ممن يرى استحالة إقامة الخلافة فكيف يحلم من "يقرأ قول الله تعالى {***وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ*** وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (النور: 55) وهل يحلم حزب التحرير عندما يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم هل تكون الخلافة مستحيلة في بلاد المسلمين، أيكون الحكم بالإسلام مستحيلاً في بلاد الإسلام؟ مالكم كيف تحكمون؟ ينظر كلمة أمير حزب التحرير في الذكرى الخامسة والثلاثين على سقوط الخلافة، بتاريخ 2006/8/22، عبر الرابط: https://bit.ly/2okIh9g.

[21] ينظر نظام الإسلام، تقي الدين النّبهانيّ، ط6، منشورات الحزب، 2001، ص (59). ويقارَن بمبحث عبد الغني عماد ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 695.

"وظائف الدولة الحديثة وأجهزتها ووسائلها" سواء من حيث "كتابة دستور" شامل من منطلَقات "إسلاميّةٍ" أو من حيث التنظير القانوني المبوّب لمهامّها ونظم الدولة القائمة عليها، فقد ألّف "الشيخ" دستورًا مُكَوَّنًا من 191 مادَّةً تحدّد النظم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة والتعليميّة والخارجيّة لدولة "الخلافة الإسلاميّة"[22] مع إقراره بإمكانيّة استنباط بعض القوانين الإداريّة من منابع أخرى غير إسلاميّة لأنها "وسائل"[23]، كما قدّم تنظيرًا واسعًا لسُبُل إقامتها ومراحلِها مع تفصيلِ مستندات كل مرحلةٍ ومتطلّباتها.

1. المشروع

ينطلق النّبهانيّ في رؤيته عن "إعلان الخلافة" مشروعًا من كونه "تطبيقًا" لنظام الإسلام، حيث طبّقه المسلمون منذ أن وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إلى إعلان سقوط الخلافة على يد الاستعمار وعملائه[24]، وعلى الرغم من اختلاف المسلمين -أحيانًا- على شخص الخليفة أو نسبه أو مذهبه أو شروطه، إلا أنّ الخلاف لم يتطرّق يومًا إلى "شكل الحكم" المتمثّل بوجود "خليفة" يحكم بين الناس[25]، ويرفض "النّبهانيّ" الجدل المتعلّق بوجود "الدولة" في الإسلام، لقطعيته في أن ذلك بديهيٌّ وجوهريٌّ في نظامه، إذ "لم يختلف الناس في هذا الأمر إلا بعد أن عمل الغرب والاستعمار على إقناع الناس بأن "الإسلام لا يهدف إلى إنشاء دولة أو إقامتها" ويسلسِل "النّبهانيّ" رؤيته لمشروع الخلافة في ثلاث مراحل: التثقيف، لإقناع الناس بجدوى الفكرة، ثم التفاعل معها ثم طلب النصرة لإقامتها، ويوضّح أنّ واجب إقامة "الخلافة" منوط بالدولة، وتطبيق نظام الدولة الإسلاميّة في المجتمع مرتبطٌ بـ"القاضي" و"الحاكم"، ومتى "وُجِد الخليفة فقد وُجِدَت الدولة الإسلاميّة؛ لأنّ الدولة الإسلاميّة هي الخليفة"[26]

2. المرجعيّات

يعتمد "الحزب" في تبنّيه "الخلافة" أيديولوجيَّةً نهائيّةً عددًا من الأسس والمرجعيَّات التي تنهض بمشروعية هذا "المصطلح" وأحقّيّته في الوجود، أهمّها: "إسلامية النّموذج" و"كفر الديمقراطية " و"مثاليّة التاريخ" حيث نرى هذه "القضايا" أو "الرمزيّات" متجاورة مع بعضها في كل بيانٍ للحزب أو خطاب أو تعليقٍ أو تحليل.

1. إلهيّة "النموذج": إثر بحثه المعمّق عن الحل الذي يقلب تفكير الناس واعتقاداتهم نرى "النّبهانيّ" يرفض الحلول المقترحة لإصلاح الوضع المجتمعي والعربي كافّةً الرأسمالي منها والاشتراكي والقومي والليبرالي، مشيرًا إلى أن "الخلافة" هي الحلّ النهائيّ كاملَ الأركان نهائي التفاصيل، كونها -أي الخلافة- ليست من صنع الإنسان أو وضعه، وإنّما هي من أوامر الله ونواهيه، وهي ثابتة لا تتغير[27]، ومن ثمّ فإن الواجب على المسلم التقيّد بكامل ما جاء به دينه من حيث العبادات كما في الصلاة، أو النُظُم كما في شكل الدولة التي جاءت عن نبيه وصحابته والأمة من بعده[28]؛ إذ إنّ الأولى ليس تحرير فلسطين وإنّما تحرير العرب والمسلمين، وذلك بمعرفة النظام الذي نريده للحياة، ثم تكوين كتلة حزبية تصبح نقطة الانطلاق ثم إعلان الخلافة التي ستكون الحل والدواء[29].

---

[22] ينظر نظام الإسلام، (80- 113).
[23] ينظر المصدر السابق، (78- 79).
[24] ينظر المصدر السابق، (44).
[25] ينظر المصدر السابق، ص46-47.
[26] ينظر المصدر السابق، (46- 47).
[27] ينظر نظام الحكم في الإسلام، ص32.
[28] ينظر السابق، 33، 34.
[29] ينظر إنقاذ فلسطين، 175 وما بعدها

نلاحِظُ ههنا أن مبدأ "إلهيّة النموذج" يشابه مبدأ "الحاكميّة" الذي نظّر له مفكرو الحركات الإسلامية الأُوَل - كسيد قطب وأبي الأعلى المودودي- في مبدأ "التشريع" الإلهي، إلا أنّه جعل صورة التشريع مختَصَرةً في إقامة "الخلافة" مغلَقةً على مشكلة "الدولة" فقط، بينما لا يغيب المجتمع والعالم عن الآخرين في نموذجي "قطب والمودودي"[30] مما جعل هذا المبدأ نقطة تكثيف للتفرُّعات التالية له، إضافة إلى كونه ركيزة في افتراض "طهرانيّة" النموذج المستدعَى تطبيقه -أي الخلافة- وتحويله إلى مبدأٍ لنقض أي أطروحة لا تتوافق مع رؤى الحزب لمخالفته "الأمر الإلهي"[31] الذي يسعى لتحقيقه، ومن ثم تكمن خطورة هذا الاختزال في جعل فهم الحزب لما يراه "مدار" الأمر الإلهي مركزًا للتحاكُم والتقويم، فمن قال به "أفلح" ومن رفضه "سقطَ وكفر"[32]

2. **"كفر الديمقراطية":** يعتمِد "النّبهانيّ" في تكفيره "الديمقراطية" وما يتفرّع عنها، بناءً على مبدأ "السيادة الإلهيّة المطلقة"، إذ إنّ السيادة في الإسلام للشرع، وإسنادُها للشعب كفرٌ لديه، وهو ما يتقاطع مع مفهوم "الحاكميّة" المطلقة، كما أن التكتل على أي أساس غير إسلامي كفرٌ، ومن ثمّ يحرِّم التكتل على أساس القومية أو الاشتراكية أو الوطنية لأنّها كفر وتدعو إلى الكفر[33]، ولذا نجده يرفض حكومات البلاد المستقلّة حديثًا عن الاستعمار، في ضوء قناعته بأن تجاربها الديمقراطية جزء من استراتيجية الاستعمار لمواصلة السيطرة على المنطقة[34].

إنّ عمليّة التشريع في "الديمقراطيّة" تعني الاستقلال الكامل عن أي مصدر إلهي[35]، ومن ثمّ فإن الحزب يسوّق لرفضها كونها "سيادة" غير إلهية -لا أنّها محضُ وسائل اختيار- وبذلك فإنها تتناقض مع الإسلام الذي يقرّر السيادة للإله لا غيره "إن هو إلا وحي يوحى"[36]، إنّ الدولة القومية أو القطريّة بما تمثله من معان مرفوضة لدى النّبهانيّ، لخروجها عن "الحاكمية الإلهية" فهي تعني الخضوع لمنطق القوى والعلاقات والاتفاقات الدولية، وهو ما يرفضه النّبهانيّ في دستوره إذ رفض فيه إقامة أي علاقة مع المنظمات الدولية أو الدول الأخرى على غير قانون الإسلام ومبادئه[37]، ومن ثم فإن الحزب أعلن "كفرية" الدستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعدّه غير إسلامي لاستلهامه مفاهيم الديمقراطية والقومية الإيرانية[38]

3. **"مثاليّة التّاريخ":** يكمّل هذا المبدأُ المقولتين السابقتين، مقرّرًا بذلك طهرانيّة "الخلافة" تاريخيًّا وآنيًّا كما تسوّق لها أدبيّات الحزب[39]، حيث لن يعود المسلمون أمّة واحدةً إلا بعودة الخلافة راشدة كما بدأت "فنعزّ كما عزّ من سبقونا بالإيمان، ونفوز كما فازوا، ونلقى الله وهو عنّا راض"[40]، ومن ثمّ فإنّ كل ما يذكر عنها ينحصر -بالضرورة- في إطار مثاليّة التاريخ وبراءته وعظمة أحداثه وأمجاده.

3. الوظائف

تنضح أدبيّات الحزب بوجوب البيعة على كل المسلمين حال وجود الخليفة وقيام الخلافة؛ مقرّرة شكل الدولة بالخليفة وارتباط "المسلم" بها ببيعته للخليفة. إنّ أهمّ وظيفة يضطلع بها "الخليفة" هي "تطبيق شرع الإسلام" في

---

[30] ينظر مفهوم الخلافة والخطاب السياسي، ضمن ملف حزب التحرير، مركز المسبار، د. مصطفى لطفي، (41-42)

[31] ينظر السابق نفسه.

[32] ينظر نظام الإسلام، 13.

[33] ينظر المصدر السابق 44.

[34] ينظر حزب التحرير، 59- 60، وينظر نظام الحكم في الإسلام، 9

[35] ينظر نظام الإسلام 27، والديمقراطية نظام كفر، ص2- 5

[36] ينظر الديمقراطية نظام كفر، ص45

[37] ينظر الدستور الذي قرّره النّبهانيّ.

[38] ينظر الدولة الإسلامية لدى حزب التحرير، ضمن ملف مركز المسبار، ص65.

[39] ينظر مثلاً الرابط الآتي: https://bit.ly/2okIh9g .

[40] ينظر خطاب الأمير الحالي بمناسبة مرور 86 سنة على هدم الخلافة، عبر الرابط https://bit.ly/2LzalyI

"الاجتماع والاقتصاد والتعليم والسياسة الخارجية والحكم"، ولتحقيق ذلك فقد صاغ النّبهانيّ دستورًا نموذجيًّا للدولة التي تريد تطبيق الإسلام -أي أنه دستور عالمي- ضمّنه في كتابه "نظام الإسلام" يشتمل على 191 مادّة، وذلك بحسب الآتي:

الأحكام العامة: "المواد 1- 15"، نظام الحكم: "16-23"، الخليفة: "24- 48"، معاون التنفيذ: "49- 51"، الوُلاة: "52- 60"، أمير الجهاد: "61- 69"، الأمن الداخلي: "70- 72"، دائرة الخارجية: "73"، دائرة الصناعة: "74"، القضاء: "75- 95"، الجهاز الإداري: "96- 101"، بيت المال: "102"، الإعلام: "103- 104"، مجلس الأمة: "الشورى والمحاسبة" "105- 111"، النظام الاجتماعي: "112- 122"، النظام الاقتصادي: "123- 169"، سياسة التعليم: "170- 180"، السياسة الخارجية: "181- 191".

يحتِم "النّبهانيّ" و"الحزب" على الدولة الإسلامية تبنّي أحكام شاملة منعًا لفوضى التقليد التي قد تؤدي إلى تعارضات التطبيق في أحكام الشريعة، ويستند في ذلك إلى مسوّغاتٍ عديدةٍ وأمثلة مختلفة، كتبنّي هارون الرشيد لكتاب "الخراج" وإلزامه القضاة في عهده بالعمل به، وتبنّي الأيوبيّين المذهب الشافعي والعثمانيين المذهب الحنفي[41]

إن وسائل تطبيق مواد الدستور مرتبطة بالخليفة الذي "يملك جميع الصلاحيّات" التي تكون للدولة[42]وتقوم وظائف الدولة على الأجهزة الآتية: الخليفة، معاونو التنفيذ، أمير الجهاد، الولاة، القضاة، مصالح الدولة، مجلس الأمة. ويقوم الحكم في الدولة الإسلاميّة على أربع قواعد هي: "السيادة للشرع لا للشعب ولا للسلطان ولا الأمة"، "إقامة الخلافة وتعيين خليفة واحد فرضٌ على المسلمين"، "للخليفة حقّ تبنّي الأحكام الشرعية وسنّ القوانين والدستور، وينوب عن الأمة في السلطان وتنفيذ الشرع"، "الخلافة عقد مراضاة وتملك الأمة منصب الخليفة إلا أنها بعد انتخابه لا تملك عزله إلا بشروط، وليس له مدّة محدّدة، وله كامل الصلاحيات التي للدولة، ويتمُّ اختياره من قبل المسلمين بطريق الانتخاب حيث يفوز من ينال عددًا أعلى من الأصوات" ولا يجوز للدولة الإسلامية الانضمام إلى اتفاقات أو منظمات مبنية على غير أساس الإسلام كمنظمة الجامعة العربية أو الأمم المتحدة أو صندق النقد الدولي[43] .

وقد استفاض الدستور في الحديث عن نظام التعليم والأخلاق العامة في الدولة الإسلامية إضافة إلى بيان نظامها الاقتصادي وسياستها الخارجية والداخلية. يَعُدُّ الحزب هذا الدستور إسلاميًّا أصيلاً يقدّم الخطط الكاملة لبناء "حكومة إسلاميّة" خالية عن التأثيرات الخارجيّة القادمة من "النظم السياسيّة الكافرة"[44] إلا أنّه أُعِدّ دون الاعتداد بظروف الشعوب الإسلاميّة والإنسانيّة عمومًا[45].

---

[41] ينظر نظام الإسلام، (83- 85)

[42] ينظر السابق، (94).

[43] ينظر موادّ الدستور.

[44] ينظر نظام الحكم في الإسلام ص9

[45] ينظر مفاهيم حزب التحرير، 45.

الفصل الأوّل: حزب التحرير في سوريّة (تجربة التاريخ والثورة)

أوّلاً: تجربة الحزب قبل 2011

1. حقبة ما بعد الاستقلال

أدرك "النّبهانيّ" أهمّيّة سوريّة في أي مشروع سياسيّ في وقتٍ مبكّرٍ، ولعلّ صلاته مع "عبد الله التلّ" الذي أرسله إلى "حسني الزعيم" لانتزاع دعمه لـ"انقلاب" عسكريّ في الأردن يطيحُ بالحكم الملكي فيه[46] نبّهته إلى ذلك؛ إضافةً إلى خبرته المتراكمة في "العمل" مع الأحزاب السياسيّة، ومن ثمّ فقد كانت سورية الوجهة الثانية التي اتّجه إليها لنشر دعوته بعد الأردن[47] مع زميليه داود حمدان ونمر المصري اللذين عُزِلا من قِبَلِه عن قيادة الحزب بعد نقاشات واختلافاتٍ في الآراء[48] تركّزت حول تفرّد "النّبهانيّ" بقراراته دون الرجوع للجنة القيادة، واعتراضهما على إدراج سوريا ضمن برنامج الحزب لإقامة الخلافة بدلًا من تركها ملجأ للمُلاحقين من أعضاء الحزب[49]، إضافة إلى خلافهم حول القيادة الاجتماعية، ليُحِلّ مكانهما عبد القديم زلوم وأحمد الداعور بقرار منه[50].

شكّلت النقاشات الفكرية والسياسية التي طرحها الحزب بريقًا لعدد من السوريين حيث زار "النّبهانيّ" عددًا من المدن المهمة كحلب وحماة ودمشق فتأثّر عدد من الشباب المتديّن بمقولاته ودعوته[51]؛ إلا أنّ الحزب لم يحصل على ترخيص سياسيّ يتيح له العمل في إطارٍ قانونيّ لكنّ أجواء الخمسينات الديمقراطيّة سمحت له بنوع من حريّة التحرك واستقطاب العديد من الشباب[52]، بيد أنّ هذه الحريّة لم تدم طويلًا فقد اعتقلت السلطات السوريّة عام 1955م عددًا من أعضاء الحزب البارزين كالمحامي العراقيّ محمد البياتي[53]، وقد اضطرّ "الحزب" إلى إخفاء نشاطه المعلَن عام 1958م إثرَ إعلان الوحدة بين سوريا ومصر -التي أيّدها من حيث المبدأ-، إلا أنّ حملات ملاحَقةٍ نظّمت ضد منتسبيه -على الرغم من نشاطه السري- عام 1960م طالت نحو 20 فردًا منهم[54].

2. حقبة "التسلُّطيّة الأسدية"

لم يُعرَف للحزب في فترة السبعينات والثمانينات والتسعينات أي نشاط سياسيّ واضحٍ، ولم يُذكر أنّه شارك في أحداث 1982م الدامية[55]، التي ادّعت مجلّة الوعي "التحريرية" -لمرّةٍ وحيدةٍ- أنّ الإخوان كانوا سيعتمدون دستور

---

[46] ينظر مذكّرات عبد الله التل، "كارثة فلسطين"، دار القلم، القاهرة، د. ت. 2/ 591، ويقارَن بالحركات الإسلامية في الوطن العربي، حزب التحرير، التأسيس المشروع الالتباسات، عبد الغني عماد، 1/ 721.

[47] ينظر حزب التحرير، عرض تاريخي، العبيدي، ص 88.

[48] حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن "الحركات الإسلامية في الوطن العربي"، ج1، 761، نقلاً عن مصدر رفض ذكر اسمه.

[49] ينظر حزب التحرير الإسلامي، العبيدي، 70.

[50] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1، 761، 762.

[51] ينظر هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوّا، مكتبة رحاب، الجزائر، د.ت. ط، ص41. ويقارَن بـ حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 762.

[52] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 763، نقلا عن مصدر لم يذكر اسمه.

[53] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 763، نقلا عن محمد راضي، حزب التحرير ثقافته ومنهجه في إقامة دولة الخلافة الإسلامية، ص72

[54] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 763.

[55] ينظر الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة وتاريخ أسود، مكتب الإعداد في حزب البعث، دمشق، 49- 59 ويقارَن بـ : حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 764.

حزب التحرير لو وصلوا للحكم[56].

وقد شنّت الأجهزة الأمنيّة السورية[57] عام 1999م حملة اعتقالات طالت جميع أعضاء الحزب البالغ عددهم 300 شخص، أُفرِج عن بعضهم تباعًا، إلا أنّ اللجنة السورية لحقوق الإنسان قدّرت عام 2002م عدد المتبقين منهم في السجون بما يقارب الستين[58]. ولم تتوقّف الاعتقالات في حقّ أعضائه إثر ذلك، وتنحصِرُ أسبابها بالبيانات شديدة اللهجة الصادرة عن الحزب تجاه عدّة قضايا[59]، كما في البيان الذي أصدره الحزب بتاريخ 16/ 4/ 2006 متناولًا فيه قضية الاحتفال بعيد الجلاء، وما فيه من تضليل وصرف للناس عن القضية المصيرية -أي عودة الخلافة – والتكريس للدولة الوطنية الضيقة[60] ممّا دفع النظام إلى اعتقال أعداد من مناصري الحزب وأعضائه، وقد تكررت هذه الاعتقالات في تشرين الثاني عام 2006 فاعتقل مجموعة من الشباب في مدينة حمص أغلبهم ممن أفرج عنهم سابقاً، مثل غزوان الشوا، جهاد الكيال، بشير ومشير أبو اللبن، وإياد خراز، وهاشم بايرلي، وياسين حديد[61].

أصدرت محكمة أمن الدولة العليا في 2006/12/3 على عضوَي حزب التحرير عبد الله عيد وباسل مداراتي، أحكامًا بالسجن لمدة خمسة أعوام بتهمة الانتساب إلى جمعية سرية من شأنها تغيير كيان الدولة الاقتصادي والاجتماعي، كما حكمت على أحمد شاهين بالسجن لمدة 3 أعوام بناء على التهمة ذاتها[62].

يجدر الإشارة إلى أن الحزب دعا قبل عام 2011 مرارًا إلى إقامة دولة الخلافة وتغيير النظام السوري الذي يسعى للتطبيع مع "الصهاينة" وتركِ الأرض المحتلّة لهم[63].

ثانياً: حقبة "الربيع العربي والثورة"

لا يمكنُ -بحالٍ- تصنيف "حزب التحرير" في خانة "الرافضين" لثورات الربيع العربي؛ إذ إنّ الواقع يثبِتُ أنه كان من "الداعمين المؤدلَجين" لها؛ حيثُ إنّ المنظور الفكري الذي يتبنّاه "الحزب" والأدبيّات التي يعرضها تدفع للتغيير وتطالب به على النحو الموافِق لـ"رؤيته" الصادر عنها.

يرى الحزب أنه أدرك "واقع هذه الثورات" في تصوُّره المعلَن في 11/ 3/ 2011 -أي بعد ثلاثة أشهر من انطلاق الثورة التونسية- بناءً على فهمه "لعمليّة التغيير" وكونه "حزبًا يتبنّى مصالح الأمة وصولاً بها إلى رعاية شؤونها في دولة إسلامية والخلافة الراشدة"[64]، ومن ثمّ فقد رحّب الحزب بـ"الربيع العربيّ" -من منطلَقه الأيديولوجي-

---

[56] ينظر مجلة الوعي، سنة 13، عدد 140، 1999، ص11.

[57] صرّح أحد الوجوه الإسلاميّة المعارِضة البارزة للباحث بأن هذه الحملة بدأت إثر اعتقال شخص من الحزب يحمل ملفًّا فيه أغلب أسماء المنتمين إلى الحزب في سوريّة حينها.

[58] ينظر مناشدة عاجلة لإطلاق سراح معتقلي حزب التحرير الإسلامي من السجون السورية، اللجنة السورية لحقوق الإنسان، عبر الرابط https://bit.ly/2MXuqn1

[59] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 766، ويقارن ب https://bit.ly/2wlooDq

[60] ينظر البيان المعنون بـ الاحتفال بعيد الجلاء تضليل للمسلمين عن قضيتهم المصيرية، عبر الرابط الآتيhttps://bit.ly/2C9fkXF

[61] ينظر حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 766.

[62] حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 766.

[63] ينظر بيان الحزب "النظام السوري يتجرّأ على القرآن في الوقت الذي هو فيه خانع ذليل أمام اليهود أعداء الله"، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2POmVh4 ، وأخبار الشرق بتاريخ 25/ 8/ 2006، ويقارَن بـ حسام جزماتي، حزب التحرير في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج1/ 766.

[64] ينظر "حزب التحرير والثورات العربية عمومًا والثورة السورية خصوصًا، مبدئية الفهم وثبات السير"، منشورات الحزب، ملحق بمجلّة الوعي، عدد 378- 379- 380، ص: 4.

فوصف "التحرّكات" التي قام بها المنتفضون في كلٍّ من تونس ومصر وليبيا واليمن بأنّها "ذاتيّة" و"إيجابيّة" وتعلوها "المشاعر الإسلاميّة" إلا أنّها لم تنبع عن "وعي عام"؛ ولذلك استطاعت القوى الدولية اختراقها بهدف المحافَظةِ على بنية النظم الأساسية في بلدان الربيع العربيّ، فكان الدور الأوروبّيّ بارزًا في تونس والدور الأمريكيّ بارزًا في مصر، أما اليمن وليبيا فقد كانتا ساحتي صراع بين القوى الاستعماريّة[65]، ويرى "الحزب" أنَّه عمل على توجيه مسار الثورات وتصويبها للتخلُّص من الهيمنةِ الغربية بـ إنشاء "الوعي العام" وطلب "النصرة" من القادرين عليها[66].

لم يغيّر "الحزب" طريقته في التعاطي مع المظاهرات والمسيرات، فالتظاهر من أعمال الرأي العام الداخلة ضمن متطلبات مرحلة "التفاعل" لكنها ليست طريقًا لإقامة "الدولة"، فالحزب يتعاطى مع "التغيير" بطريقةٍ واحدة مستنبطةٍ من كتاب الله وسنة نبيّه، التثقيف فالتفاعل فطلب النصرة فإقامة الخلافة[67] وكذلك الحال مع شبابه الذين دخلوا ضمن هذه "الحراكات" فإنّهم دخلوا فيها لصناعة الوعي العام بقضية "الخلافة" وكان لهم -بحسب الحزب- "بعد فضل الله ومنَّتِه فضلٌ كبيرٌ في رَفعِ رايةِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعلِها راية أغلب الثوَّار، وفضلٌ في تحميل الناس مطلب إقامة شرع الله بخلافة راشدة"[68]

تتّصف متابعةُ الحزب لمراحل "التحرّك" العربي منذ بداياته إلى يومنا هذا "بالتقصّي الشامل" إضافة إلى حرصه على إصدار النشرات والبيانات التوجيهيّة والدعوات التي تطالب الشباب الثائر بتبني خطابه ورؤيته.

يمكن تلخيص مطالب الحزب من "الثوّار" في البلاد العربيّة بالآتي:

1- الحذر من تغلغل أذرع الدول الاستعمارية في الاحتجاجات وخبثهم في استغلال الأحداث لتمرير مشاريعهم،
2- التحذير من المطالَبة بالدولة "المدنية" أو القَبول بها،
3- مطالبة أبناء الحراك بتبني "إقامة الخلافة" مشروعًا للتخلُّص من حالة الذلِّ التي يعيشها العالم العربي والإسلاميّ،
4- توجيه النداءات المستمرّة إلى أصحاب القوّة والمَنَعَة لنُصْرَة الحزب وإعلان "الخلافة"[69].

---

[65] ينظر نشرة الحزب المعنونة بـ" جواب سؤال: حول (الثورات) في مصر وتونس وليبيا واليمن"، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2LBJxOcl ، وينظر حزب التحرير والثورات العربية، ص6.

[66] ينظر جواب سؤال حول الثورات، وحزب التحرير والثورات العربية، ص8.

[67] ينظر أجوبة الشيخ العالم عطاء بن خليل أبو الرشتة حول المؤتمرات والمسيرات "التظاهرات"، والندوات، وهل حزب التحرير غيَّر طريقته؟ عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2ogskR8

[68] ينظر حزب التحرير والثورات العربية، 14.

[69] ينظر على سبيل المثال البيانات الآتية:

أوّلاً: الثورة التونسية:

أ. **بتاريخ** 3 كانون الثاني 2011م، **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2wD28Er

ب. بتاريخ: 16كانون الثاني 2011م، بعد مغادرة "بن علي"، يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2PfAOnk

ت. بتاريخ 16 كانون الثاني 2011م، بيان بعنوان: الاستعمار والوجوه المتعددة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2wvIQ4D

ث. بتاريخ 1 آذار 2011م، تونس وحقيقة الثورة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2MX7Cnv

ثانيًا: الثورة المصرية

أ. بتاريخ 9 شباط 2011م، يا قاهري الصليب والتتار، يا كنانة الإسلام، حذار من أن تخدعكم أمريكا وعملاؤها بتجميلٍ زائف للنظام، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2MyBV4B

ب. بتاريخ 3 حزيران 2011م، **يا أهلنا في مصر. أدستورٌ ديمقراطيّ ونظامُ كفرٍ من صُلْبِ الطاغوت، أَمْ دُستورُ خلافة راشدة على منهاج النبوة**

كما نلحظ حرص الحزب أن يُفرِد لكلّ بلد من بلدان الحراك خطابات وتحليلات ونداءات لا تخرج في مجملها عن النقاط التي ذكرناها.

ثالثاً: الحزب و"الثورة السوريّة"

وقفَ الحزب من الثورة السوريّة ذات الموقف الذي رأيناه من الثورات الأخرى، إلا أنّه تعامَل معها بناءً على أوضاعها الميدانيّة التي تمرّ بها نظرًا لتعرّجاتها العديدة.

1. مرحلة الحراك السلميّ

استمرّ وجود "حزب التحرير" في سوريّة بعد حملات الاعتقالات السابقة بذات النسقيّة التي تعرَف عنه -أي سرّيّة التنظيم ومبدئيّة القضيّة- حيث يصنّف "حزب التحرير" نظام الأسد" خائنًا يتلاعب بالقضية الفلسطينيّة لنيل مكاسب تقوّيه على الرغم من رفعه شعارات الممانعة والمقاومة -في الظاهر فقط- إضافةً إلى قناعة الحزب بأن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم النظام السوري لتحقيق أهدافها في المنطقة[70].

بناءً على ذلك أصدر الحزب في الرابع عشر من شباط عام 2011 بيانًا يوضّح فيه أحداث "سجن صيدنايا" وما حدث فيه من اعتصامات ومحاولات اقتحام ومفاوضات والنتائج التي توصل إليها المنتفضون في السجن مع النظام وعدم إيفاء النظام لما اتفق عليه معهم وإصداره أحكاما مختلفةً بين الإعدام والسجن المؤبّد، مؤكّدًا على أنّ "النظام السوري يظن نفسه في مأمن من التغيير، وإنّ مقتله في ظنه هذا" "فالتغيير زاحف إليه، ومنطلَقُه إسلاميّ" "ولن يستطيع إيقافه أحد كما لن يصمد أمامه أو يستطيع التصدّي له"[71]مطالبًا الشعب السوري بتغييره وتسليم الحكم إلى المخلصين الذين يستطيعون إقامة "الخلافة الراشدة" مع التذكير بأن الحزب مستعدٌّ "لحمل هذه الأمانة وقيادة الأمة القيادة الرشيدة"[72]

"القرارات الإصلاحيّة خديعة لإطالة عمر النظام السوري والمطلوب الرحيل الفوري للنظام" بهذه العبارة

تريدون؟ عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2wpGaEs

ت. بتاريخ: 8 تموز 2011م، رغم أنف أمريكا ومن شايعها، أهل مصر الكنانة يريدون تطبيق الشريعة من خلال دولة الخلافة الإسلاميّة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2NtQDGe

ث. بتاريخ: 29 تموز 2011م، ما الذي ينتظره المجلس الأعلى للقوات المسلّحة والحلُّ بين يديه؟ عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2MUNm63

ج. بتاريخ: 26 آب 2011م، الدولة المدنية التي يراد تسويقها لكم هي دولة علمانية لا علاقة لها بالإسلام فانبذوها ولا تقبلوها ولا ترضوا عن الخلافة الراشدة بديلاً، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2PfCPQa

ثالثًا: الثورة اليمنية:

أ. بتاريخ 25 آذار 2011، أيها الجيش اليمني حقق بشرى رسول الله بإزالة الحكم الجبري، وأقم دولة الخلافة الراشدة الثانية، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2LCGZPQ

ب. بتاريخ 3 حزيران/يونيو 2011م، يا أهل الإيمان والحكمة: أزيلوا النظام الحاكم من جذوره وأقيموا الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2LzsuMM

ت. بتاريخ: 22 تشرين الأول/أكتوبر 2011م، التغيير الحقيقي يكون بتطبيق شرع الله ورفض تدخل الكافر المستعمر وليس بإقحامه!، عبر الرابط https://bit.ly/2BXEmZv

ث. بتاريخ 16 شباط 2012، الانتخابات الرئاسية في اليمن مهزلة غريبة لا ترضي الله بل ترضي أعداءه، عبر الرابط https://bit.ly/2wpxuyT

[70] ينظر مجلة الوعي، النظام السوري في سوريا، خياره السلام الاستراتيجي، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2PftAzv، العدد 257، وقد كررت المجلّة هذا الاتهام في أعداد أخرى مثل 234- 235، و240 و243، و244.

[71] **ينظر: أيها المسلمون في سوريا: كونوا مثالاً للتغيير الذي يعم المنطقة بإقامة الخلافة الراشدة،** عبر الرابط الآتي: **https://bit.ly/2LD1fRz**

[72] ينظر السابق ذاته.

عنون الحزب بيانه الأوّل في حقبة "الثورة" السوريّة، وكان هذا البيان "تعقيبًا" على خطاب "الأسد" الأول بتاريخ 30/ 3/ 2011، فحلَّل فيه عقليّة النظام الأمنيّة والأساليب التي اتبعها لقمع الاحتجاجات في درعا إضافة إلى مناشدته "**مسلمي سورية وضباط جيشها**" بالعمل على التغيير الذي يرضي الله سبحانه وتعالى وذلك بأخذ "الحكم من العصابة المجرمة وإقامة حكم الله والخلافة الراشدة على منهاج النبوة في الأرض"[73]؛ ومن ثمَّ فإننا نلاحظ أن الحزب تناول الثورة السورية منذ بداياتها من منظوره الأيديولوجي الذي يضبط به استراتيجياته وآراءه وتكتيكاته كلّها، الأمر الذي استغلّه الإعلام السوريّ الذي بثّ على قناة "الإخباريّة السورية" تقريرًا بتاريخ 28/ 3/ 2011 عن الحزب وأنشطته في سوريّة ودوره في الأحداث التي تجري فيها وتنفيذه للأجندات الأمريكية عبر إيهامه الناس بأنه يعمل على "إقامة الخلافة"[74]

استمرّت بيانات الحزب طوال مدّة "الحراك السلميّ" في الثورة بالظهور والتتابع، ولم تخرج منهجيّة الحزب في كل بيان منها على أن يؤكّدَ فيها على دعم الثورة، ووجوب أن يكون الحراك فيها منضبطًا بمبادئ الإسلام وحده حيث لا يصحُّ المطالبة بـ"الديمقراطية" أو "الدولة المدنية"، وأن لا يُلتَفَت إلى الإصلاحات التي يدّعي النظام قيامه بها أو سنّها، إضافةً إلى ضرورة الالتزام بـ"السلميّة"، مع حرصٍ بالغٍ من قِبَله على إلباس الثورة السورية لَبوس "المطالبة بإقامة الخلافة"، ومطالبَة الجيش بنصرة الشعب وإقامة "دولة الخلافة"، مع استمراره بتقديم تحليلاتٍ لمجريات الأحداث عامّة والتعليق عليها[75].

بدأت بيانات الحزب تأخذ طابعًا جديدًا يتميّز بالهجوم على المبادرات الدولية التي قُدّمَت أمام المعارضة التي تطالب بالحلول السياسيّة، إضافة إلى مهاجمته المطالبين بالحماية الدوليّة في وجه القمع الأسدي لخيانتهم الله ورسوله والثائرين مع ارتفاع نبرة التحذير الدائم من سرقة الثورة من الأطراف الغربية التي تصنع معارضات "علمانية" و"وطنية" في الخارج مع الحرص على طلب النصرة من الجيش السوري إضافة إلى المطالبة بـ"إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوّة"[76].

---

[73] ينظر السابق ذاته.

[74] ينظر التقرير المذكور عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2MUTvPF

[75] ينظر الآتي:

أ. بتاريخ **09 نيسان 2011، بيان:** النظام السوري يعلن الحرب على شعبه مستبيحاً دماء الناس وأرواحهم، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2PKgprs

ب. بتاريخ 7/ أيار/ 2011، بيان: أيها المسلمون، https://bit.ly/2MCruwZ

ت. بتاريخ 27 أيار 2011 بيان: في جمعة حماة الديار، ليحسم الجيش السوري خياره لمصلحة دينه وأهله وشعبه، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2PO5Zar

ث. بتاريخ 2 آب 2011 (1/ رمضان) بيان بعنوان: بشار يس، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2MB913z

ج. بتاريخ 28 آب 2011، (28 رمضان) بيان: في ليلة القدر يكمل الطاغية بشار مسلسل جرائمه التي زادت وتيرتها في شهر رمضان، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2BXEHLL

[76] ينظر -على سبيل المثال- في هذا الخصوص الآتي:

1. بتاريخ: 6 أيلول 2011، بيان: الدعوة لطلب الحماية الدولية خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين الثائرين في الشام الأبية، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2N1DOG8
2. بتاريخ 14 أيلول 2011، بيان: (وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا) ثوار سوريا ينددون بالوزراء المجتمعين في جامعة الدول العربية وضيفهم أردوغان، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2LBEj4Z
3. بتاريخ 9 تشرين الأول 2011، بيان: أيها المسلمون في سوريا: لا تظنوا أنّ بالمجلس الوطني نجاتكم... فإنه لم يُنشأ لمصلحتكم، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2Lyr2Kx
4. بتاريخ 14 تشرين الأول 2011، بيان: في "جمعة أحرار الجيش" حزب التحرير يضع الجيش أمام مهمته العظيمة: إسقاط النظام لإقامة

لقد قارب الحزب قراءته لأسباب الثورة من منطلقه، فالعلاقة عنده مع النظام ليست سلبيّة لأنه يظلم ويقتل فحسب، بل لأنه عدوٌّ لله ولدينه قبل كل شيء" وهذا نداء مبكّرٌ -ومنفردٌ حينها- لتوجيه الانتفاضة السورية نحو الأدلجة "إسلامُ/تحريرية" -إن صحّ التعبير-، على الرغم من أن الحراك كان شعبيًّا بعيدًا عن الأدلجة، ولم يكن للحزب ظهور واضح في المظاهرات المطالبة بالحرية والكرامة والديمقراطيّة، إضافة إلى عدم وجود تكتُّلات عسكرية أو سياسيّة على الأرض ولم تكن الخلافات حول الرايات التي ترفع قد ظهرت بعدُ إذ كانت الغاية الوحيدة "إسقاط النظام"[77]، ويذكر للحزب تنظيمه عدّة احتجاجات دعمًا وتأييدًا للثورة في بعض البُلدان كالأردن[78] وفلسطين[79] وتونس[80] وماليزيا[81] وتركيّا[82] ولندن[83].

2. "الحراك المسلّح"

لقد أيّد حزب التحرير "الكفاح المسلّح" الذي اختارته "جماهير" الشعب الثائر، إلا أنّه تعامل معها من منطلَقاته، حيث كان يوجّه لها النصح المستمر بغية العمل على إقامة "الخلافة" وتحكيم شرع الله، ويجدر التفصيل إلى أن أطوار تعامل "الحزب" مع المرحلة "المسلّحة" تتّسق طردًا مع "التطوُّرات" التي كانت تجري على الصُعُد الداخليّة بين الفصائل والتنظيمات الجهادية سواء من ناحية الاقتتال الداخلي أو مسألة "إعلان الخلافة" من قِبل تنظيم "دولة الإسلام في العراق والشام" وبين الحزب نفسه وعلاقته مع الفصائل، أو الصُعُد السياسية مع النظام من خلال ملفات المصالحات والمفاوضات، أو الصُعُد الدولية التي دخلت الهيئات السياسية "الممثّلة للثورة" فيها طرفًا عن الشعب السوري وثورته كالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة وهيئة المفاوضات العليا ومسار آستانا التفاوضي.

أ. الوجود

أتاحت الأعمال العسكرية للثورة تحرير مناطق واسعة من الأرض السورية في محافظات عدّة، كحلب ودمشق ودرعا وإدلب، فسارع "الحزب" إلى العمل العلني فيها على نطاقٍ واسعٍ مستفيدًا من الوضع الذي أفرزته الحالة "المسلّحة" فأسّس عددًا من المكاتب الإعلامية والدعويّة التي اهتمّت بتوزيع نشراته وكتبه وجريدته الأسبوعية

حكم الإسلام، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2BSneV3

5. بتاريخ 4 كانون الثاني 2012، بيان: أيها المسلمون في سوريا: اخلعوا عنكم وصاية من يصر على بقاء إدارة الأزمة بيد أعدائكم، عبر الرابط الاتي: https://bit.ly/2wwADft

6. بتاريخ 18 تموز 2012، بيان: أيها المسلمون في شام الإسلام: هذا ربكم قد أنعم عليكم بقتل أعضاء من خليّة الإجرام، فأتموا النصر لله بإقامة الخلافة الراشدة في "الشام عقر دار الإسلام"، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2LA9jma

7. بتاريخ 6 أيار 2012، بيان: إعادة انتخاب غليون: المجلس الوطني أحد أوجه التآمر على الثورة السورية المباركة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2wsoqsh

8. بتاريخ 28 أيار 2012 بيان: أيها المسلمون في سوريا: سجلوا لأنفسكم مكْرُمة إقامة الخلافة الراشدة على أنقاض هذا النظام البائد، عبر الرابط الاتي: http://goo.gl/stUuaJ

[77] يذكر أن أول مطالبة بالخلافة الإسلامية في المظاهرات السلميّة -بحسب أقدم التسجيلات المصوّرة التي يستشهد بها الحزب- كانت في مدينة دارة عزة شمالي غرب حلب بتاريخ 9/ 3/ 2012، ينظَر: https://bit.ly/2wxpyuu

[78] ينظر https://bit.ly/2okQme0 وذلك بتاريخ **2011-05-20م.**

[79] ينظر https://bit.ly/2NqErGd، وhttps://bit.ly/2BTQcDU

[80] ينظر https://bit.ly/2PfJ5Ya

[81] ينظر https://bit.ly/2ojPlmg

[82] ينظر https://bit.ly/2woxZJD

[83] ينظر https://bit.ly/2wvuvnR

"الراية" ومجلّة "الوعي" الصادرة عنه، ولم يكن للحزب في حقيقة الأمر "ثقلٌ" عسكري أو ميدانيّ، على الرغم من بياناته الكثيرة التي أصدرها مخاطبًا فيها الفصائل العسكريّة لتأخذ بنهجه وتتوّج حراكه بالسعي "للخلافة"، حيث كانت كثرة هذه البيانات مع انتشار كتاباته وشعاراته "بتوقيعه" على نطاقٍ واسع في أهمّ المناطق السوريّة المحرّرة كحلب وريفها، وريف دمشق، ودرعا، وإدلب وريفها، إضافةً إلى انتشار نشراته الإعلاميّة وحشده ما استطاع للخروج في المظاهرات المطالبة بالخلافة سببًا في إيهام وسائل الإعلام بوجود قوّة ميدانية كبيرةٍ لحزب التحرير، الأمر الذي نفاه القائد العسكري للواء التوحيد "عبد القادر الصالح" مؤكّدًا أنّ النظام يقف خلف هذه الدعاية لإثبات أن الثوّار عصابات إرهابية مسلّحة[84].

وقد أكّد "أمير الحزب" عدم امتلاكهم جناحًا عسكرياً في الثورة السوريّة وأنّ ذلك غير وارد سابقاً ولا لاحقاً؛ للقناعة التي رسّخها "حزب التحرير" بعدم القيام بالأعمال المادّيّة -أي القتاليّة- في مرحلة الدعوة، واقتصار عملهم على طلب نصرة أهل القوة لإقامة الدولة[85]

اقتصر ظهور الحزب في سورية ضمن الأنشطة التي ألزم نفسه بها منذ تأسيسه -أي التثقيف للوصول إلى التفاعل وطلب النصرة[86]- فكثُرت محاضرات شبابه وكلماتهم في الميادين كافّةً كالمساجد إضافة إلى اهتمامه بعقد المؤتمرات والندوات والتركيز على أهمّيّة البث الإعلامي الموجّه، كما في المقاطع المصوّرة التي ينتجها الحزب سواء في صفحات التواصل الاجتماعي أو مواقع الحزب على الإنترنت أو موقع يوتيوب إضافة إلى توزيع البيانات والمطويّات التي تظهر أفكار الحزب على الناس والتحريض على التظاهر للمطالبة بإسقاط النظام وإعلان الخلافة[87].

برز اسم المهندس هشام البابا الذي شغل منصب "رئيس المكتب الإعلاميّ[88] لحزب التحرير فيما يسميها "ولاية" سوريّة في هذه الأثناء، حيث تجوّل "البابا" في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام المحاذية للحدود التركيّة كمدينة "إعزاز"؛ محاضرًا في عدة مساجدَ وندواتٍ، ومؤكّدًا على "أنّ ما يجري في سوريا صراع بين الحق والباطل" ورجائه

---

[84] ينظر الآتي: https://bit.ly/2wqbjse

[85] ينظر https://bit.ly/2ojKaD9 ويقارن بـ قراءات في الحركة الإسلامية في الحرب السورية (2) طارق أحمد، على موقع مجلة صور، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2wwC3Xl

[86] يُذكر أن الحزب يستخدم الطريقة الارتقائية في التعامل مع الأحداث السورية، فهو يصدر البيانات والإجابات بعد وقوع الأحداث ويلتزم بنهجه في المطالبة بالخلافة في نهايتها، فقد صدر عنه رسمياً نحو 40 بياناً وجواباً عن الأحداث السورية، ينظر الحزب والثورات العربية، ص17، 18.

[87] ينظَر الآتي على سبيل المثال:

1. https://bit.ly/2oglQlw
2. https://bit.ly/2MF4UUg
3. https://bit.ly/2wtxWeE
4. https://bit.ly/2Nu4Q62
5. https://bit.ly/2MXfKEx
6. https://bit.ly/2PMHXfN
7. https://bit.ly/2MDh7sM
8. https://bit.ly/2MDyycD
9. https://bit.ly/2wvylxh
10. https://bit.ly/2PiW2kf
11. https://bit.ly/2wwElpp
12. https://bit.ly/2PaxHg8

[88] كذا وصفه الحزب في عدة بيانات، ينظر منها: https://bit.ly/2PNUq2J

بأن تُكلّل الثورة بإقامة "الخلافة الراشدة"، لينتقل إثر ذلك إلى مدينة "صوران" القريبة من "إعزاز" حيث ألقى فيها محاضرة سبقتها دعاية واسعة بعنوان: "ثورة الشام: تضحيات وتحديات، صبر أسطوري وتآمر دولي آخره الأخضر الإبراهيمي"، تلاها توزيع مشروع الحزب عن دستور دولة الخلافة و"بيان مؤامرة الأخضر الإبراهيمي "[89].

كما برز قياديّون آخرون للحزب في سوريا بعد عام 2011، كأحمد إبراهيم عبد الوهاب، الذي حلّ محل البابا في رئاسة المكتب الإعلاميّ في منتصف 2014، بينما عاد البابا عضواً فيه. ود. يوسف الحاج يوسف، نائب رئيس هذا المكتب، وعبدو منذر الدلي، من ريف درعا، عضو المكتب الإعلامي أيضاً، وشقيقه محمد الدلي، ومنير ناصر[90] (أبو إسلام) -من حلب- عضو المكتب الإعلامي، ومحمد الموسى عضو المكتب الإعلامي أيضاً، وناصر شيخ عبد الحي، عضو لجنة الاتصالات المركزية للحزب في سوريا، وعبد الحميد عبد الحميد، عضو اللجنة نفسها. أمّا في حلب ذاتها -مثلاً- فقد اشتهر محمد دباغ في حيّ المشهد، وعلي الصالح في حيّ طريق الباب، والشيخ أبو حمزة في حيّ المرجة، وإسماعيل الوحواح (أبو أنس) والمهندس علي عبد الرحمن، والشيخ أبو مصعب الشامي وعبد المغيث ياسين في ريفها الغربي، ويامن خيال في ريفها الشمالي، وأحمد حاج محمد وسامر عيد وجمال حج إبراهيم وعيسى العيساوي وأحمد أبو عبادة في ريف إدلب، وأحمد العبود وعامر علي السالم في ريف درعا، بينما لم يُعرَف اسم أمير "ولاية سوريا" في الحزب[91].

ومع الظهور الإعلاميّ الكبير لحزب التحرير في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، نرى أن "الحزب" لم يقدّم أي جهدٍ آخر غير "الجهد الإعلامي" المنحصر في أعمال "التثقيف" على المنابر الدينية أو في المحاضرات وجلسات الحوار وندواتها، مما يؤشّر بوضوحٍ إلى طبيعة نشاط الحزب في سوريا. فكما غاب عنه الجانب العسكريّ غابت النشاطات الإغاثيّة أو الإسعافيّة أو الطّبّيّة أو الخدميّة أو الإداريّة أو الخيريّة أو سواها من الجوانب التي انشغلت بها الكثير من الفصائل والمنظمات. وكان أبرز نشاطات الحزب هو دعوة الفصائل إلى تبني أفكاره، وهو مما لم يحدث بشكل جادّ، خاصةً أنّ الحزب لا يملك من الموارد المالية ما يكفي للدعم من نواحي التسليح أو الذخيرة أو الرواتب، وهو ما تحتاجه هذه الفصائل بالفعل لا النشرات والكتيبات والحوارات[92].

ب. العلاقة

تتّسم العلاقة بين "حزب التحرير" والفصائل المسلّحة بالاضطراب؛ لعدمِ اتساقها على خطٍّ معيَّن، فلم تتجه نحو الاصطدام المباشر أو الدعم المتبادل دائمًا، إضافةً إلى إمكان حدوث التنافر الشديد في مدينة دون أن تكون كذلك في أخرى، ولعلّ ذلك عائد إلى المزاجيّة وغياب "الرؤية" ومنطق "الدولة" لدى الفصائل.

وسنعرض فيما يأتي نماذج مختصرة عن أشكال العلاقة التي رصدتُها بين الحزب ومحيطه من الفصائل:

1. **التداخل والدعم المتبادَل:** وَصلَت العلاقة بين الحزب والفصائل إلى حدود التداخل ودعوة أفراده إلى نقاط الرباط لحثّ "المجاهدين" على الصبر والثبات والعمل على "إقامة الخلافة" ونبذ دعاوى الديمقراطيّة

---

[89] ينظر http://goo.gl/Cn2UkX، حيث نوّه "البابا" في المحاضرة إلى التضحيات التي قدمها الشعب السوري مؤكّدًا أنه حرام بعد كل هذه التضحيات أن يرضى الناس بتغيير شكلي في الوجوه وحرام أن يرضى الناس بعد ذلك كله بأقل من دولة الإسلام التي تقتصّ من كل فاجر حارب الله وآذى عباده المخلصين"، ويقارَن بـ قراءات في الحركة الإسلامية في الحرب السورية (2)، مرجع سابق.

[90] قام فريق البحث بالتواصل مع الأستاذ منير للاستفسار عن أمور عديدة تخصّ الحزب وآراءه وبعض الموضوعات الأخرى، ولم يصل منه جواب حتى تاريخ نشر الدراسة.

[91] ينظَر: قراءات في الحركة الإسلامية في الحرب السورية (2)، مرجع سابق.

[92] ينظر: قراءات في الحركة الإسلامية في الحرب السورية (2)، مرجع سابق.

والدولة المدنيّة[93] إضافة إلى رفع أعلام الحزب وتبنّي شعاراته على أبواب المقرّات[94] وقد نعى الحزب عددًا من القادة العسكريّين في "الجيش الحر" كعبد القادر الصالح[95]، وإبراهيم الأمين[96]، لما لهم من مواقف مشرّفة وتضحيات جليلة في خدمة الثورة والمسلمين.

2. **التنافُر والتنابُذ:** وصلت العلاقة المُعلَنة بين "الحزب" وبعض فصائل "الجيش الحُرّ" في بعض الأحيان إلى اعتقال بعض الوجوه الإعلاميّة الشهيرة منهم، فقد اعتقل -على سبيل المثال- فصيل صقور الشام العامل في منطقة جبل الزاوية وريف إدلب عددًا من شباب الحزب الذين هُجّروا من الغوطة ضمن الاتفاقات الأخيرة، وقد أعلن في عدة بيانات رفضه لهذه الاعتقالات، إضافةً للاحتجاج في بعض المظاهرات على ظلم الفصيل لهؤلاء الشباب[97]، ونذكر أيضًا اعتقال المجلس العسكري لمعرّة النعمان المهندس مشير أبو اللبن "أبو حازم"[98] ليلة 2018/6/15. أثناء توزيعه بيانًا يصف "المجلس العسكري في مدينة معرة النعمان بالمُصْطَفِّ خلف الطغاة في حربه ضد حزب التحرير" ويتهمه بخيانة الثورة، وترتبط حادثة اعتقال الأخير بمحاولات قام بها المجلس العسكري لرفض وجود حزب التحرير في المدينة اعتقل على إثرها المهندس رضوان الخولي - من مهجري الغوطة الشرقية - وهو يوزع بيان الحزب "الخلافة فرض قبل الثورات وبعدها"؛ ليصدر المجلس العسكري في مدينة معرة النعمان بتاريخ 13/6/2018م بياناً يمنع بموجبه نشر أي ورقيات أو مناشير أو كتيبات تابعة لحزب التحرير في مدينة معرة النعمان، "سالكًا في ذلك نهج الطغاة في حربهم ضد الحزب وأفكاره المستمدة من العقيدة الإسلامية، والتي تدعو إلى تحكيم شرع الله عز وجل عن طريق إقامة الخلافة الثانية - تاج الفروض - التي بشر بعودتها رسول الله" بحسب بيان للحزب[99]

3. **الاختطاف:** ونذكر هنا الحوادث الآتية -على سبيل التمثيل-

أولاً: اختُطِف عضو حزب التحرير في الغوطة الشرقيّة "المفكر السياسي -والمعتقل السابق لدى النظام- الحاج أبو مالك" في 11/ 10 / 2016م[100]، ويُعيد الحزب اختطافه لثباته على الحق وصدعه بكلمته؛ مما دفع خاطفيه "لارتكاب جريمتهم ظنّا منهم أنهم يستطيعون بهذا الفعل إطفاء نور الله وإسكات صوت الحق إرضاء لأسيادهم" وقد حمّل الحزب في بيانٍ له قادة الفصائل التي تسيطر على الغوطة "وتدّعي حمايتها" مسؤولية هذه الحادثة ، مطالبًا إياهم بملاحقة خاطفيه ومنع تكرار هذه الجريمة؛ وإلا فإنهم لا يستحقون أن يكونوا في منصب المسؤولية عن أمن الناس وحمايتهم[101].

ثانيًا: أصدر الحزب بياناً في 2017/7/12 عن اختطاف أحمد عياط -أحد كوادر حزب التحرير- من قرية صوران في ريف مدينة إعزاز إثر توزيعه نشرة "**التدخل العسكري التركي هدفه خنق ثورة الشام والإجهاز عليها**"

---

[93] شهادة شخصيّة حدثت معي عدة مرات أثناء تجوّلي في نقاط رباط المقاتلين عام 2013 في حلب كما في جبهة قرية (عزيزة) مثلاً، و(الشيخ سعيد) و(حي العامرية، وصلاح الدين، والصاخور، وبعض أحياء حلب القديمة كـ باب النصر، وحي الجُدَيدَة).

[94] رأيت ذلك على أبواب مقرّ حركة "الفجر" الإسلاميّة في حلب عام 2013.

[95] ينظَر: https://bit.ly/2PO0c4r

[96] ينظر https://bit.ly/2POzt8a

[97] ينظر الآتي:

1. https://bit.ly/2BXfPnm
2. https://bit.ly/2BZk81E
3. https://bit.ly/2JJtrli

[98] أحد أهمّ وجوه الحزب التي اعتقلها النظام في عهد الأسدَين "الأب، والابن". ينظر https://bit.ly/2z4F6dX

[99] ينظر https://bit.ly/2MXjE09

[100] كما يصفه بيان الحزب ينظَر: https://bit.ly/2MEsLDx

[101] ينظر https://bit.ly/2MEsLDx

بتاريخ 7/ 2017/7، تلا ذلك اختطاف عزّام يوسف في تاريخ 10/ 7/ 2017، في ريف حلب الشمالي وكان المتّهم في ذلك الفصائل الموالية "للجيش التركي"[102]

4. **السرية**: حيث لا يوجد أي مكتب معلن لهم في مناطق المعارضة، وبطبيعة الحال فإنّه ليس لديهم مكتب معلن في المناطق الأخرى. ويتركز وجودهم الآن في مناطق ريف حلب الغربي وإدلب وريفها وريف حماة الشمالي[103].

ج. المواقف

تنوّعت "السرديّة" التي يبني الحزب موقفه عليها تجاه الفصائل بتنوُّع الأحداث التي تحكم مساراتها واتجاهاتها، فمواقفه من الفصائل إبّان تشكّلها ودفاعها عن المدنيين أو تحريرها للمدن والقرى مختلف -بطبيعة الحال- عن موقفه منها في مراحل الاقتتال مع تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" أو فيما بينها أو حين انتهاجها المسارات التفاوضيّة كالهُدَن والمصالحات مع النظام والقوى الأخرى.

1. "بدايات التشكُّل"

لم يقف حزب التحرير ضد التسلّح والدفاع عن النفس، وإنّما توجّه "الحزب" منذ البداية إلى إصدار البيانات التي توضّح مخاطر الارتهان إلى الداعمين من أصحاب المال السياسي، إضافة إلى التحذير من خبث الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتوجّهاتهم لإفناء الثورة بتلويثها بالدعم الماليّ لتحقيق مكاسب سياسيّة، ومناشدة "أبناء الجيش" بالانشقاق وعدم الانصياع لأوامر النظام، ومناشدة قادته وضباطه بإزالة هذا النظام وإقامة "الخلافة" مقامه[104]

2. حالة الاقتتال الداخلي

أ. الاقتتال بين "الفصائل" و"تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام":

أثار الاقتتال الداخلي بين الفصائل وتنظيم الدولة الإسلامية حفيظة الحزب على الرغم من موقفه السلبي من إعلان "التنظيم" الخلافة، حيث رأى الحزب هذا الاقتتال الأسلوب المفضّل لدى الغرب لوأد الثورات، مذكّرًا بأن الغرب اتبعه في كل من العراق وأفغانستان وغيرهما من البلاد، إضافة إلى خدمته أهداف النظام باستنزاف طاقات الفصائل والتنظيم وحرفهم عن إقامة شرع الله، علاوةً على الكوارث الإنسانيّة التي تسببها هذه الاقتتالات[105]، داعيًا الفصائل والتنظيم إلى عدم حرف المسار وإعطاء النظام المجال والوقت لاستعادة أنفاسه وقوته، فقتاله أولى، مع ملاحظة أن الحزب -الذي لم ينخرط يوماً بالأعمال العسكرية- يعاتب التنظيم دون أن يشير إلى ابتدائه بالاقتتال، مع دعوته كل المُقتَتِلين للعمل معاً على تحكيم شرع الله في دولة الخلافة الراشدة بحق وتبني مشروع الحزب السياسي المستند للكتاب والسنة[106].

ب. اقتتال فصائل "الجيش الحر" و"التنظيمات الجهاديّة":

كان من المُلفِت -حقًّا- تصنيف الحزب للاقتتال الحاصل بين التنظيمات الجهادية والجيش الحر في عام 2016 وما بعده بأنه "غصن في شجرة خبيثةٍ اسمها الحل السياسيّ الأمريكي" فالاقتتال الذي جرى بين الفصائل -بالتزامن مع عقد مؤتمر آستانة- له دلالات واضحة بحسب "الحزب"؛ إذ إنّ اتفاق وقف إطلاق النار المُعلَن

---

[102] ينظَر https://bit.ly/2POux2K

[103] نقلت الشهادة بعد تواصلي مع عدة مصادر إعلاميّة في الداخل.

[104] ينظَر: https://bit.ly/2wuC7qy

[105] ينظر https://bit.ly/2ojmxdH

[106] ينظر https://bit.ly/2BYAac2

عنه بتاريخ 2016/12/29 م هو الخطوة الأولى للاقتتال بين الفصائل، ومن يرفض الاقتتال فإنه سيُصنّف ضمن الرافضين للحل السياسي ويوضَعوا على قائمة الإرهاب[107]

3. حالة المسار التفاوُضي

رفض الحزب -بطبيعة الحال- المسار التفاوضي مع النظام "عسكريًّا" و"سياسيًّا"، إذ لم يجنِ أهل الشام من الالتزام بالهُدَن إلا الدماء، كما أنّه لا عهد للنظام الأسدي ولا ميثاق، وهو ما يتجاهله المتفاوضون معه "العسكريون" منهم أو "السياسيون"[108]. ويرى الحزب أن هذا المسار يحقق للغرب والنظام النجاح بإغراق الثورة السورية، فقد استطاع النظام استعادة محافظة درعا والغوطة الشرقية وحمص وحلب وأماكن أخرى بعد سبع سنوات من تحريرها بسبب المفاوضات التي لعب المستفيدون من الأموال المسمومة التي قُدمت إليهم أهم الأدوار فيها[109] محذّرًا أهل إدلب من المسار التفاوضي الذي يُعمَل عليه، مطالبًا إياهم بالاستعداد للمواجهة والاتحاد تحت مظلّة مشروع الحزب في إعلان الخلافة حتى يتحقق النصر المبين[110].

رابعاً: "الحزب" بين "المعارضة والتنظيمات الجهاديّة"

1. الحزب والمعارضة السياسيّة

تعود طبيعة العلاقة بين "حزب التحرير" و"الآخر" إلى نقطة المنطلَقات، فقد تبيّن أن حزب التحرير يرفض المنطلقات غير "الإسلامية" في التجمّعات والأحزاب -في حال أُعلِنت دولة الخلافة- كما يصف "الديمقراطية" بأنها نظام "كفرٍ" وكذا المطالَبة بها "كفرٌ"؛ ومن ثمّ فإنّ علاقة "الحزب" بالمعارضة السوريّة لن تخرُج عن هذا الإطار، خاصّة أنّها تنطلق من "المُحرّمات" التي يرفض "التحريريّون" محض التفكير بجدواها.

تختصِر بيانات الحزب العديدة رأيه بـ"المعارضة السورية" وهيئاتها المنبثقة عنها كالمجلس الوطني، والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، والمسارات التي تشكّلت في مرحلة المفاوضات، كمسار جنيف، ومسار آستانة، والاتفاقات الناجمة عن التفاوض مع المناطق المحاصرة والمصالحات التي تلت ذلك، نتبيّن منها: الرفض المطلق لكلّ أشكال التفاوض، ووصف المفاوضين بالخيانة للثورة ودماء الشهداء، وتصنيف المؤسسات التي شكّلت لجان التفاوض من المعارضة ضمن خانة الارتهان للقرار الغربي "الأمريكي" والفساد المالي والخيانة للثورة والعمل على هدمها وهدم مشروع تحكيم الإسلام الذي "قامت لأجله"، ودعوة الناس للتبرؤ منهم وتبني مشروع الحزب في "إقامة الخلافة"[111].

---

[107] ينظر https://bit.ly/2ohyQHv ، وينظَر https://bit.ly/2oiPs1y . ولم يشر الحزب في أي بيان إلى اعتداء الأطراف على بعضها، ولم يقرأ هذه الاقتتالات بأي منطق سوسيولوجي وإنما بمنطقه الأيديولوجي مجردًا عن السياقات.

[108] ينظَر: https://bit.ly/2PgyVGP

[109] ينظَر الآتي:

أولاً https://bit.ly/2POghHu.

ثانيًا: https://bit.ly/2BTVUWm

ثالثاً: https://bit.ly/2olHcOs

رابعًا: https://bit.ly/2KIS31B

[110] ينظَر: https://bit.ly/2BY558i

[111] يمكن سرد قائمة طويلة من البيانات التي تناولت سائر الملفات السابقة من التفاوض والمبادرات التي تبحث الحل السياسي وملفات الدعم وإنشاء الحكومات المؤقتة ومؤسسات المعارضة، ينظَر منها على سبيل المثال:

1. https://bit.ly/2LFYlf2
2. https://bit.ly/2MBcKy5
3. https://bit.ly/2wpBQ99

2. الحزب و"خلافة البغداديّ"

يثير رفضُ "حزب التحرير" لإعلان الخلافة من قِبَل تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" العديد من الأسئلة ويحفّز لتغيير آليّة القراءة المفترَضة عن دور الخطاب في تبني الخلافة مركزًا تحوم حوله الأحلام والآمال، إذ إنّ المفترَض من حزب بنى "أيديولوجيّته" على "إقامة الخلافة" أن يبادِر إلى تبنّيها والدفاع عنها حال تحققها، غير أن أمير الحزب الحالي "أبو الرشتة" بيّن بطلان إعلانِ الخلافة الذي قام به "تنظيم الدولة" بناء على الطريقة التي قررها النّبهانيّ في وجوب مرور تشكيل الخلافة بثلاث مراحل اتبعها النبي صلّى الله عليه وسلّم في ذلك، إضافة إلى اشتراط أن يكون للناصِر سلطان ظاهر في المكان الذي يحكمه فيحفظ فيه أمنه في الداخل والخارج، وأن يكون لديه مقومات الدولة في المنطقة التي تعلن فيها "الخلافة"، وهو ما لا يراه "الرشتة" في حالة "تنظيم الدولة" إذ لا سلطان له على سوريا ولا على العراق، كما أنّه لم يحقّق الأمن والأمان في الداخل ولا في الخارج، حتّى أنّ مجلس الشورى الذي أعلن الخلافة لا يستطيع الظهور علناً؛ وعليه فإنّ إعلانه للخلافة لغوٌ لا مضمون له فلا يقدّم أو يؤخّر في واقعه، إذ إنّ التنظيم حركة مسلّحة قبل الإعلان وبعده شأنه كباقي الفصائل المسلّحة، ويشير "الأمير" إلى أن هذا الإعلان سيضر بمشروع الخلافة في أذهان عامة الناس وبسطائهم إذ إنّ سقوط هذا التنظيم سيسهم في أن تسقط "الخلافة" عندهم من مركزها وأهميتها وتصبح فكرة هشّة[112] ليتلو ذلك إصدار الحزب بياناً رأى فيه أنّ إعلان الخلافة قد حدث لتشويهها؛ لأنه لا يعدو كونه حلقةً جديدةً في سلسلة أعمالٍ هدفها القضاء على مشروع الخلافة، بعد أن تطوّر الوضع الثوريّ في سوريا إلى "المطالبة العارمة بها"، وضمور مشروع جماعة العلمانيّين كـ"الائتلاف الوطنيّ الذي لا يملكُ أيّ شعبيّةٍ تذكَر"[113].

يلاحَظ أن "تنظيم الدولة" منع "حزب التحرير" من العمل في الأراضي التي سيطر عليها كما أعدَم بعض منتسبيه بتهمة الردة[114]

4. https://bit.ly/2BZeD2Y
5. https://bit.ly/2wtCodm
6. https://bit.ly/2wu6L3w
7. https://bit.ly/2wpK55c
8. https://bit.ly/2oiDMvJ
9. https://bit.ly/2wp7rrI
10. https://bit.ly/2POpS10
11. https://bit.ly/2wnyzqM
12. https://bit.ly/2BTWeEy
13. http://cutt.us.com/HFKW3a
14. http://cutt.us/EUI3V
15. http://cutt.us.com/9vLU3kM

[112] ينظر http://cutt.us.com/I4NT2uWF، ويقارن بمقال: طارق أحمد، قراءات في ملف الحركات الإسلامية، (2) مرجع سابق.

[113] ينظر https://goo.gl/IRiV4f، ويقارَن بالسابق.

[114] ينظر http://cutt.us.com/4RS1gWXa ويقارن بالسابق.

الفصل الثاني: حزب التحرير في سوريّة بين "انغلاق التنظيم" و"أفول الفكرة"

أولاً: "الخلافة وسيلةً وغاية"

لعلّ الفرق الأبرز بين عموم "الحركات الإسلامية" و"حزب التحرير" استخدامُ الغاية دعايةً للتأييد، حيث تلجُ الحركات العمل السياسي إمّا على قواعد الديمقراطية الانتخابية -كما في حالة الإخوان المسلمين- أو العنف -كما عند السلفية الجهادية- إلّا أننا نرى "حزب التحرير" يجعل الغاية نفسَها نقطة الانطلاق والغاية في الوقت ذاتِه، في تناصٍّ مباشرٍ مع "الطوباوية" الحالمة أو "المهدويّة" المُنْتَظَرَة؛ ومن ثمّ فإنّنا بحاجَةٍ إلى تأطير "التحليل" بإطار يجتمع فيه السياسي مع الاجتماعي، والنفسي مع التاريخي، لنصل إلى الكشف عن تصوّرات "الحزب" الأساسيّة ودوافعها[115]

نقارب الأمر ههنا -بدايَةً- من مُنْطَلَقَي "التأثّر المعرفي" و"العامل السيكولوجي"؛ فقد عاينَ الشيخ "النّبهانيّ" سقوط "الخلافة" في شبابه حيث كان في بيئةٍ علميّة وأسرةٍ "قضائية" بينها وبين الدولة العثمانيّة اهتمام متبادَل، إضافة إلى تأثير شيوخه فيه كجدّه "يوسف" وشيخ الأزهر محمد خضر حسين اللذان كانا مناصِرَين لـ"الخلافة" وإعادتها، كما أنّ "النّبهانيّ" ذاته عاصرَ الشيخ "البنّا" رافضًا رؤيته السياسيّة، ومؤثِرًا أن يختطّ لنفسه الطريق الجديد، فيجمع بين أصالة الرؤية "الخلافة" القائمة على (مثالية المطلب) وقوّة "التنظيم" (الحزب المؤدلَج)، ومن ثمّة فإنّ قراءة اختياره لهاتين النقطتين مُحرّكتين لرؤيته يجب أن تتضمّن تحليلًا يُشكِّل إجابة "تأطيرية" -على الأقل- عن السبب والكيفيّة والأثر، فنستوقف -أوّلاً- سياق العمل لصياغةِ نظريّة في الفهم عند السؤال الأوّل -أي- لمَ اختار "النّبهانيّ" الخلافةَ نموذجًا غائيًّا لتنظيمِه "السياسي" من ناحيةٍ ومحرّكًا له وللأمّة من ناحيةٍ أخرى. تشغل مقدمة التنظير لفكرة "الخلافة" عرضًا موسّعًا -من الناحية التاريخية- لمسار الانحدار في تاريخ الأمة، حيث يطّرد التهاوي مع انهيار "الخلافة" من جهة وازدياد طغيان تيّار دعاة القوميّة والدولة الوطنية والديمقراطيّة من جهةٍ أخرى، ولفَهم ثبوت "التقديم" على هاتين النقطتين -لا غير- ينبغي اللجوء إلى قواعدِ علم النفس العامّ في فهم سلوكيّات المجتمعات المقهورة، وعليه فإنّنا نرى أنّ الشعب الفلسطيني -الذي خرجت من أوساطه- فكرة حزب التحرير- كانَ يعانِي -بادئ ذي بدء- من الهزيمة والانكسار في أكثر البُقَع الإسلاميّة قداسةً بعد "أرض الحرمين".

ننظرُ إلى هذه النقطةِ من ناحيَة أن سيكولوجية الانكسار والتقهقر تدفع الفرد / الجماعة إلى الانكفاء على الذات باعتبارِها أوّل السُبُل الدفاعيّة التي يقررها علم النفس العامّ حيث تتجه (الجماعات/ الأفراد) إلى الانسحاب من الواقع والتقوقع حول الرموز والأفكار السابقة[116] فيتعزّز جانب العزلة عن الواقع وتتضخّم مشاعر الفرقة والاختلاف في المجتمع بكل ما فيه لتوسُّع إدراك الناس مدى الاختلاف بينهم وبين الآخر[117]؛ وعليهِ فإن أبلغَ أشكال هذا الرفض الاجتماعيّ تظهر بالتمسُّك بتراثِ الجماعة / الأمة في مواجهة "الآخر" المستعمِر، فتتدَعّمُ التقاليد وتقوى شوكة العودة إلى الماضي[118] ثمّ تتطوّر هذه الحالة الدفاعيّة عند الوصول إلى فكرة "الملاذ" أو "الملجأ

---

[115] ينظر: السوسيولوجيا والتحليل النفسي، روجيه باستيد، ترجمة وجيه البعيني، ط1، دار الحداثة، بيروت 1988م، ص121.

[116] ينظر التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي، ص101.

[117] ينظر المصدر السابق، ص 102.

[118] ينظر المصدر السابق، ص102.

المنقذ" الذي يرد أنواع الغوائل وأصناف المخاطر[119] في طوباوية حالِمة تستحضر فكرة "البطل المنقذ" أو "المهدي المنتظَر"، ومن ثمَّ يتمكّن الإنسان والمجتمع المقهور خلال هذه المرحلة من إدخالِ شيءٍ من التوزان إلى وجودِه[120] تزداد حالة "العودة إلى الماضي/ السلفيّة" بروزًا كلّما اشتدّت الهزّاتِ التي تعصِف به، فتغدو -أي العودة للماضي- عاملاً "نفسيًّا" لمواجهةِ التحدّيات التي لا قِبَل للفرد/المجتمع بها[121]، ومن ثمّ فإنّ التحصُّن بالتراث -كما عند النّبهانيّ- سبيلٌ مؤكّد النجاح لمجابهة غزو المتسلّط الخارجي الذي يشكّل تهديدًا في الهويّة والانتماء الوجودي للأمّة[122] حيث تزيّن "الأنا" التراثَ من ناحيةٍ وتضخّم حسنات نماذجه من ناحيةٍ أخرى، وهكذا يتحوّل الماضي إلى عالم من السعادة والاعتبار مع تضخيم أمَل القفز فوق آلام الحاضر والوصول إلى المستقبل كما كانت أمجاد الماضي[123]، ونشير في هذا السياق إلى أنّ الاتّكال على "المخلّص" أو "الرؤية" أو "الفكرة" سبيلاً وحيدًا في "الانتصار" يحمل أبعادًا تختزل الملاحم وتختصر الكمالات في موضوع واحدٍ[124]؛ وعليه أزعُمُ بأنّ "النّبهانيّ" كان متأثّرًا في رؤيته السياسيّة والمستقبليّة بدوافع ذاتيَّة/دفاعيّة أكثر من العوامل الموضوعيّة، فقد كان جدّه -الأكثر أثرًا في صنع رؤاه و توجيهها منذ صِغره- قاضيًا في الدولة العثمانيّة ومنافحًا شرسًا عنها، إضافةً إلى معاينته -أي الشيخ تقيّ الدين- حالة التفتت والهزيمة مادّيًّا ومعنويًا، وسعيِه للتميُّز في إيجاد الحلّ لهذه الهزائم حيث يحتكُّ بالتيّارات المختلفة متابعًا لآرائها في النهضةِ وبناء الدولة ورافضًا لها -بمختلف تيّاراتها- جملةً وتفصيلًا، حيث يُشرِف على عتبة الفناء فلا يملك إلا أن ينظر إلى الماضي ببريقه وقوّته فيحدو به الأمل لاستعادة أمجاده مع إمكانِ الاستفادة من منجزات الحاضر، وذلك لا يكون -برأيه- إلا بـ"الخلافة" التي هي في حقيقتها أداة الدفاع التي تجتمع فيها "العودة إلى الماضي" وآمال "الخلاص القادم"؛ حيث يمثّل تحقُّق طلب "النصرة" الذي تُعلَنُ به "الخلافة" حالة أشبه ما تكون بالخلاص السحري، حيث يأمل "الحزب" أن تستيقظَ الأمّة يومًا فترى الأمور قد انقلبت فجأةً وتحوّل الواقع إلى النحو العزيز الذي كان في الماضي، وهو عينُ ما يعقدُ عليه الحزب الآمال، من خلال عودةِ "الخلافة" بـ"النصرة" -في أدبيّاته- أو "الانقلاب العسكريّ" -حقيقةً- حيث يمثّلُ الأمل الأخير الذي يغيّر الواقع فتخرج الأمة من الأزمة الوجودية التي تعصف بها.

ثانيًا: النشأة والصياغة

يعود إنشاء حزب التحرير إلى حقبة الخمسينات من القرن الماضي، ولذا فإننا نرجّح تأثر الشيخ "النّبهانيّ" بتراتبية التنظيمات ذات الرؤى الشمولية المغلقة المنتشرة في تلك الحقبة من القرن الماضي[125]، حيث يكون التنظيم "حديديًا" ومحكَمًا وصاحب سرّيّةٍ شديدة، مع الحرص على بناء هالة كبيرة تضخّم دور الطليعة الثورية أو الحزب الثوري أو القائد الملهَم أو الطبقة التي ستقود التغيير في أدبيّاته، ويعودُ هذا الترجيح إلى أنّ الشيخ كانَ مطّلعًا

---

[119] ينظر السابق نفسه.

[120] ينظر السابق نفسه.

[121] ينظر السابق نفسه.

[122] ينظر المصدر السابق، ص 106.

[123] ينظر المصدر السابق، ص 109.

[124] ينظر المصدر السابق، ص111.

[125] احتك التبهانيّ بسائر هذه التنظيمات، كما تقدّم سابقًا، وألمح هشام عليوان في كتابه الشيخ تقي الدين التبهانيّ داعية الخلافة الإسلامية إلى احتمال انتسابه لحزب البعث إبّان تشكيله، حيث كان على علاقة وثيقة بعبد الله الريماوي أحد منظري التيّار القومي وأبرز قادته، ينظر: تقي الدين التبهانيّ داعية الخلافة الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2009، ط1، 116.

على التنظيمات الحزبية وازدواجية العمل بين السرية والعلنية والعمل على إخضاع الأعضاء الجدد لاختبارات الولاء والانتظام الأيديولوجي[126].

لقد تبنّى الحزب كغيره من التنظيمات في وقته تنظيماً مركزيًّا هرميًّا، يراكم السلطة والصلاحيّات في مركزه المتمثّل بـ "الأمير/ المؤسّس" ويكرّس لنوع من "عصمة" الزعيم، فهو أقرب إلى الأحزاب الراديكالية، حيث يركّز على الانضباط التام والانصياع الكامل وكبت الاجتهاد الفردي وغياب الرؤية النقدية والمراجعات الفكريّة -لدى أعضائه- في إطار بنية هرمية يَنصَبُّ فيها "التنظير والتخطيط" من أعلى القيادة إلى أسفل القاعدةِ، مما ينتج أفرادًا مؤطّرين ضمن رؤاه فكريًّا وسياسيًّا[127]

ويؤكّد ذلك أنّ الحزبَ يعمدُ إلى أسلوب "الخلايا" ضمن تنظيم هرمي تراتبيّ، فتتكوّن الخلية في أسفل الهرم من 3- 7 أفراد يقودهم أمير، ويكون الأمير عضوًا في خليّة أخرى لا تعرف أعضاء الخلايا الأخرى، ويعرف أمير كل خلية أمير الخلايا الأعلى؛ ليصعُب على الاستخبارات اختراق بنية الحزب، كما لا توجد اتصالات بين الخلايا وبين أفراد الخلية ذاتها إلا بطرق معيّنة، حيث لا يعرف أعضاء الخلايا بعضهم إلا بأسماء مستعارة، وينظّم أعضاء الخلايا جلسات دراسية -منزلية في الغالب- لتعميق الانتماء إلى أفكار الحزب التي صاغها "المؤسّس"، كما يتّبع مشرف الخلية تكتيك الانفراد في تثقيف الأفراد الجُدُد خاصة أصحاب الخلفيات العسكرية والحكوميّة، ويرسل المشرف تقريرًا أسبوعيًّا عن تَقدُّم حلقات الدروس وإنجاز الأفراد فيها، واقتراحات ترشيح الأفراد للانضمام إلى الحزب أو رفضهم[128].

نرى في رأس الهرم "أمير الحزب" وتحته أجهزة القضاء والإدارة، ولجنة القيادة التي ليس لها مكان محدّد وإنّما تعمل حيث تستقر، ليأتي بعدها لجنة الولاية المنتَخَبة من مجالس كل ولاية حيث يكون عددهم من خمس إلى ثمانية أفراد، أما الجهاز الثالث فهو اللجان المحلية وكل لجنة فيها من 3- 5 أفراد تعمل على رعاية أعضاء الحزب وكسب الأعضاء الجدد[129].

من جانبٍ آخر نؤكّد ذلك التأثُّر من خلال اهتمام "النّبهانيّ" بقضيّة التفاعل والتصاعد التي اختار لها "رمزية الخلافة" باعثًا ومحرّضًا في وقت تعيش الناس فيه "الهزيمة" وترى "ضياع فلسطين" أمامها لحظةً بلحظة، ولعل فكرة التفاعل التي نظّر لها الشيخ النّبهانيّ ضمن المراحل الثلاث -أي التثقيف، فالتفاعل وطلب النصرة، فإعلان الخلافة[130]- تعادل عملية "التناقض" و"الصراع" التي ينظّر لها مناصرو "الديالكتيك"، ومما يدفع لاعتبار هذا الرأي قراءات الشيخ النّبهانيّ النقدية والتحليلية المتعمقة للتيار الماركسي، إلا أن ذلك لا يعدو كونه محضَ تقاطعات في التنظيم[131]، وتجدر الإشارة إلى أن التنظيم الهرمي التراتبي ذي الصبغة السرية الحديديّة قد استُخدِمَ من قِبَل بعض الجماعات الباطنية في التاريخ الإسلامي، كفرقة الحشاشين المنتمية إلى الفرقة الإسماعيليّة التي كان تنظيمها الهرميّ يضمن لها الاستمرارية والسريّة، حيث تشكّل العصمةُ والقداسة مركزية الالتفاف حول المركز الذي يفرض رؤيته على أفراده.

يتشابك الجانب "المثالي" أو "الطوباوي" لدى "حزب التحرير" بالجانب الواقعي، فهو يطالب "بالدولة التي تعزّ المسلمين وتفتح الفتوح وتحدُّ الحدود" من ناحية – مخاطبةً الوجدان الجمعي-، ومن ناحيَةٍ أخرى فإنها تقوم على "دستور" مفصّل، وتسمح بتعددية الأحزاب وتعتمد الانتخاب آلية للانضمام إلى مجلس الشورى -في إظهار

---

[126] ينظر: تقي الدين النّبهانيّ داعية الخلافة الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 117.

[127] ينظر نظرية التنظيم والتغيير عند حزب التحرير، مازن النجار، ضمن ملف مركز المسبار، ص 87.

[128] ينظر حزب التحرير عماد عبد الغني، ضمن الحركات الإسلامية في العالم العربي 1/ 724.

[129] ينظر السابق، (745/1) نقلا عن الحركات الإسلامية في لبنان، 178.

[130] ينظر التكتل الحزبي، 36، ومفاهيم حزب التحرير 63- 64، وحزب التحرير 19- 20، ومنهج حزب التحرير في التغيير 41.

[131] ينظر حزب التحرير، عماد عبد الغني، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، 1/ 723.

لمدى واقعيّتها وإمكانيّة تحققها، وتعمل على ذلك من خلال شحن مخيال "الجماعة" التي تخاطبها بزيادة شحنتها العاطفية[132]، وليضمن الحزب اقتناع الناس برؤيته فإن سُبُل دعايته تكاد تقتصر على "التجييش" السلبي والإيجابي معًا بتعرية الآخر وتصنيفه استجلابًا لدعم الناس وتأييدهم؛ وذلك باستخدام "ثيمات" تختزل "الآخر" وتعمل على تثبيت "الأنا" كرفض الديمقراطية وما ينتج عنها واللجوء إلى "الخلافة".

ونسجّل هنا ملاحظات ثلاث:

1. أتى مفهوم "الخلافة" عند النّبهانيّ جامدًا شديد الدوغمائيّة، إلا أنّه حاول إدخال بعض العناصر التي تمنحه طابع العصرية، كالدستور والقبول بتعدّديّة الأحزاب واختيار المُمثّلين عن الشعب وانتخاب الخليفة، وعلى الرغم من ذلك فقد التزم رؤية مغلَقة في هذه الموضوعات تعتمد السيادة "النصّية" للتاريخ باعتبار إنجازاته امتدادًا للوحي، فلا نجد مفهومًا واضحًا -عنده- لعلاقة الفرد بالدولة يغاير ما نراه عند الجهادية السلفية، فلا يحق لغير المسلم انتخاب الخليفة، ولا تملك الأمة عزل الخليفة إلا بالشروط التي ذكرها الفقهاء سابقًا، أي أن احتمالية بقاء الخليفة حاكمًا مدى عمره هو الاحتمال المرجّح، بل يختزل "النّبهانيّ" الدولةَ بالخليفة الذي يملك جميع صلاحيّاتها، وإن توقفنا عند رؤيته لمفهوم المجتمع الإسلامي فإنّنا نراه يقصره على المجتمع الذي يُحكّم بـ"الخلافة" نظامًا إسلاميًّا، وعليه فإنّ المجتمعات التي تدين بالإسلام الآن ليست إسلاميّة -بحسب الحزب- وإنّما هي مجتمعات ينطبق عليها أنها "دار كفر"؛ لتحكّم الأفكار الرأسمالية والرؤى الغربيّة والديمقراطية بها[133] وذلك يعود بطبيعة الحال إلى المصادر التي تأثّر بها النّبهانيّ في رؤاه عن المجتمع وفهمه له ومحاولاته في التلفيق بينها.

2. إن الخطّ التصاعديّ الذي تشير إليه أدبيّات الحزب في التعاطي مع مسألة "إعلان الخلافة" تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الحركة التقدّمية والحتمية التاريخيّة التي نظّرت لها المدارس الاجتماعيّة الغربيّة وتفسيرها التاريخ بأنه خط متصاعِدٌ ارتقائي في التجربة البشريّة[134]، إلا أن الحزب -بالمحصّلة- من بين الحركات الإسلامية السياسيّة هو الحزب الأكثر تمثيلاً لمعنى الحزب بمفهومه الكلاسيكي الغربي.

3. على الرغم من تكفير "النّبهانيّ" الديمقراطيّة والمفرزات التي تصدر عنها إلا أننا لا نرى منه -والأمراء من بعده- دعوات لحمل السلاح؛ إذ حتّم "الحزب" استخدام "العنف" بيد "القوة الضاربة" التي ستحلُّ محل الأنظمة حين تلبي "طلب النصرة" في نزوع مباشر منه إلى "دائرة حتمية" يؤدي تطبيقها في نهايته إلى خوض الانقلابات العسكرية -كنموذج رآه النّبهانيّ مرارًا ولعله تأثّر به فشرّع له بقاعدة دينيّة جيّر لها أمثلة طلب النبي البيعة والنصرة من القبائل لمنحها المشروعيّة[135] وإلا فإنّ عدم تطبيق هذه الرؤية سيؤدي إلى الانشقاق عنها بمحض إخضاعها إلى مراجعةٍ فكرية جديدة وهو ما تجلّى في الانشقاقات التي حدثت في بنيةِ الحزبِ لاحقًا. إضافةً إلى ذلك يحدّد الحزب مبدأه الأول بالعمل على استئناف الحياة الإسلامية، ويبتدئ ذلك بنقطة ارتكاز أولى تكون منها انطلاقة دولة الخلافة التي ستعمل على ضم الولايات والأقطار الأخرى إليها، أي أنّ دولته لا تعترف بالحدود المرسومة المتفق عليها فهي دولة توسّعيّة لا تلتفت إلى واقع العالم اليوم وإنما تنظر إليه بمنطق القرن الهجري الأوّل.

---

[132] ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م، ص29.

[133] ينظر نقطة الانطلاق لحزب التحرير، منشورات الحزب، 1954، ص7.

[134] ينظر نظريّة التنظيم والتغيير عند حزب التحرير، مازن النجار، ملف المسبار، ص 86.

[135] نستحضر ههنا إرسال قائد معركة القدس عبد الله التل الشيخ تقي الدين النّبهانيّ وعبد الله الريماوي إلى حسني الزعيم في مهمة جلب تأييده لانقلاب عسكري في الأردن يجري التحضير له، إلا أن مقتل الملك عبد الله الأول قبل حصوله أوقف هذا الانقلاب، ينظر مذكرات عبد الله التل، كارثة فلسطين، دار القلم، القاهرة، د. ت. 2/ 591، ويقارَن بالحركات الإسلامية في الوطن العربي، حزب التحرير، التأسيس المشروع الالتباسات، عبد الغني عماد، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي: 1/ 721.

ثالثًا: تحليل واستشراف

لم يُؤثَر عن الحزب دعوات لتغيير الأوضاع القائمة بالثورات التي يقودها الناس وإن طفحت أدبياته ومنشوراته بدعوة المسلمين في كل "دولة / ولاية" إلى تغيير الحكام إلا أنّ ذلك يكون مرتبطًا بطلب النصرة من ذوي العصبة والمنعة أن يكون بثورةٍ شعبيّة في أيٍّ منها، وقد كان موقفُ الحزب من الثورة السورية والربيع العربي إيجابيًّا -مبدئيًّا- إلا أنه استغلّ الأحداث العربية والسوريّة ليحمّلها مضامين رؤيته معلِنًا أنّ هذه الثورات ما هي إلا لرفض المشاريع العلمانية والديمقراطيّة وإقامة الخلافة، في ابتسارٍ واضح للواقع وتجيير له لدعم رؤاه الحزبية؛ ومن ثمَّ فإنّ تعامل الحزب مع الثورة السورية صدَرَ بناءً على هذا المنطلَق، وكانت تحرّكاته وأنشطته في الأراضي السوريّة التي خرجت من قبضة النظام مندرِجَةً ضمن المرحلة الأولى من أدبيّاته أي التثقيف وإنشاء الكتلة التي تؤمن بفكرته، ولم تبلُغ هذه الأنشطةُ -بتقدير الباحثِ- الثانية بعدُ -أي التفاعل، ومن ثمَّ نندفع للتساؤل هل سيستطيعُ الحزب أن ينشئ تفاعُلاً شعبيًّا مع أطروحاته، وما الأسباب التي تمنع الناس من تقبُّلِ أطروحاته؟
للإجابةِ عن ذلك نتوقّف عند النقاط الآتية:

1. شعارات الحزب بين "مثاليّة المطلب" و"انسداد آفاق الواقع"

رحّب الحزب -كما تقدّم- بالثورة السورية وأصدر العديد من البيانات قبيل اندلاعها يتنبّأ بها؛ إلا أنّه قارَبها بمنظوره: فانتفاضة الشام انتفاضةُ المؤمنين الذين ينادون "لبيك يا الله" كما حذّر من محاولات "أمريكا" فرض قياداتٍ من المعارضة العلمانية في الخارج، عبر المجلس الوطني ثم الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، لتكون بديلاً عن الأسد[136] مطالبًا الثوّار الكفرَ بالديمقراطية وتبنّي مشروع حزب التحرير.
سوَّق الحزب لنفسه بالخُطَب وعقد المؤتمرات والندوات ونشر البيانات والمطويّات، وكانت الشعارات التي يدوّنها على الجدران مثالاً صارخًا على انغلاق الرؤية لديه عند نموذج أُحاديّ النظر والتركيب، فتطالعك -مثلًا- في حلب -أشهر مدن الشمال- عبارات رنّانة ذات دويٍّ مثقَل باستدعاء التاريخ والتعلّق بأمجاده والاستناد على التعالي عن الواقع مع تصنيف الآخر ضمن دوائر ذات دوالّ إقصائيّة وتكفيريّةٍ في آنٍ معًا، فـ "الخلافةُ وعدٌ وحقٌّ وفرض" و"طريق الخلاص" بل هي "أقصر طريق للنصر وإسقاط النظام" إضافةً إلى أنّ "الخلافة القوّةُ القادمة" إذ إنها "ليست وهمًا ولا حُلْمًا، بل هي وعدٌ ونظامُ حُكم" ومن "احتمى بالغرب ضل وذلّ"، و"بالخلافة وحدها تنتصر ثورة الشام" ولا ننسى أنّ "الأمة تريد خلافة إسلاميّة" و"كفالة الله مشروطةٌ بنصر دينه" إضافةً إلى التكرار الكثيف لمقولات "الديمقراطيّة نظام كفر"، و "العلمانيّةُ فشلت" و"الغرب في طريق الانحدار"، وهي شعارات امتلأت بها جدران حلب بعد انحسار سلطة النظام عن أحيائها الشرقية.
وعلى الرغم من الحضور الإعلامي الواضح للحزب إلا أنّه لم يُعرَف عند عامّة الناس وناشطي الثورة -في غالبيتهم- إلا بعباراتٍ تصنيفيّة تختصرُ الموقف منه وتختزل الآراء بممارساته ونشاطاته كـ "حزب الحيطان"، "حزب الجدران"، "حزب الشعارات"، "داعش البيضاء"، "حزب البيانات"، "حزب الطابعات"، "حزب الأعلام والاندساس في المظاهرات"، ولعلّي أثبِت ههنا شهادة أحد الإعلاميين الذين تواصلتُ معهم لرصد تأثير الحزب في الشارع السوريّ حيث قال لي: "أغلبُ الناس في الشمال لا يعرفون أي شيء عن حزب التحرير ولعلّ بعضهم لا يعرفه حزبًا سياسيًّا أم "فريقَ كرة قدم".
وإن أردنا تأطير تأثيرات الحزب وشرائح المتعرّفين إليه فإنّ ذلك ممكن بإحدى طرقٍ ثلاث: قراءة الشعارات التي يكتبها على الجدران والبيانات التي يوزّعها عند أبواب المساجد -حيث لا يتكلّف الأمر سوى أفراد يوزعونها

[136] ينظر http://cutt.us/9vLU3kM

وخطّاطين يعملون بأجرة ماديّةٍ على تدوينها-، أو من خلال حضور الكلمات التي تُلقى في مسجدٍ من المساجدِ، إضافة إلى مراقبَةِ مظاهرة عابرة لأنصار الحزب -على قلّتهم- أو من خلال اندساس بعض أفراد الحزب في مظاهرة من المظاهرات ورفعهم أعلام الحزب"[137]. وقد حضر الباحث في منتصف عام2013 احتكاكًا في حيّ المشهد بين عشرات المواطنين والناشطين الذين يرفعون أعلام الثورة وبين أفراد يرفعون راية العُقاب وينادون بالخلافة ويرفعون شعارات حزب التحرير" وقد حصلت عشرات الأمثلة المشابهة في أماكن أخرى ومظاهرات متفرّقةٍ، مما يوضّح مدى الصداميّة التي يتصف بها الحزب مع مطالب الشارع، في انغلاق تامٍّ على الرؤية التي يتبنّاها باستحضار يذكّرنا بالطابع التقديسيّ الذي ينظَر به إلى رؤى النّبهانيّ وتاليَيْه في قيادة الحزب.

لقد أثارت أسئلة الإعلام عن مدى تغلغل الحزب في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام إبّان خروج إحدى أكبر مظاهراته في مدينة إدلب في 22/ 4/ 2018 يطالِب الناس فيها بـ"الخلافة"، أقلام المحللين والدارسين، إلّا أن الإجابات المتخوِّفة من سطوة هذا التغلغل لم تتبيّن الواقع الفعليّ لوجود الحزب، ولم تنقّب في كيفيّة الإعداد لحشد هؤلاء -الذين لم يتجاوزوا بضع مئات حينها- والسُبُل التي يتّبعها الحزب لإنجاحها، سواء من حيث حشد العناصر المؤمنين بالفكرة من الأطراف والضواحي والقرى وجمعهم في مكان واحدٍ، أو من حيث العمل على استدعاء كافّة الأطراف الميدانية والفعاليّات الشعبيّة وتجيير هذه الأعداد الحاضرة لصالح إظهارها رصيدًا شعبيًّا يسوِّق له الحزب، بينما لا يتعدّى واقع الأمر التعاطفَ من قبل أغلب الحاضرين دون الاقتناع بجدوى هذه المظاهرات أو فهم فحوى المشروع وأدبيّاته، وإنما هي "هَبَّةٌ" نحو "الماضي" و"استدعاء لقدسيّته" لكسب التعاطف من ناحية وإظهار الغضب من ناحية أخرى في تكتيك يذكرنا بالأوليّات الدفاعية التي سبقَ التذكير بها.

2. حزب التحرير "جمود الفاعليّة وخسارة التفاعل"

حين نتوقّف عند المسار التصاعدي والأفقي لانتشار حزب التحرير وأنشطته "الإعلاميّة" فإنّنا نخلص إلى أن الحزب محصورٌ في البقعة الجغرافية الخارجة عن سيطرة النظام، يتوسّع بتوسعها وينحسر بانحسارها، لا يعرف أعضاؤه بعضهم، بعيدٌ عن آراء الشارع وتوجّهاته، ولعلّ الشارع ذاته لا يكاد يعرف من توجهات الحزب وأفكاره سوى أنّه يطالب بالخلافة ويرى "بوقوعها عز الأمة ونصرها" مما شكل قناعة عامة بأنه الحزب "صاحب مشروع" إلا أنه يتعامل مع الأفكار بمثاليّة آفلة، إضافة إلى يقين عامّة الناس والباحثين بأن رؤيته الصلبة ودائرته "الحتميّة" لن تتحقق في ظل معطيات الواقع المعاصر.

نشيرُ -إضافةً إلى ذلك- أنّ تحديد عددٍ تقريبيّ للمنتمين إلى حزب التحرير في سوريّة أمرٌ عسير، نظرًا لأنّ صبغته السرّية وعدم تقبُّل الناس لأفكاره وانتشاره "الطفيلي" "النفعي" في المظاهرات[138] تقف حاجزًا أمام هذا الهدف، إلا أنّ التقديرات العامة تشير إلى نسبته الضئيلة جدًّا في المناطق المحرَّرة، التي قد لا تتجاوز ألفًا بالمليون، وعليه فإنه لو اعتبرنا عدد سكان المناطق المحررة 4 ملايين فإنّ عدد الأفراد الذين يُلمّون بأبجديّات الحزب ورؤاه لن يتجاوزوا 4 آلاف على أقرب الاحتمالات، وعلى الرغم من النشاطات "التثقيفية" التي يقدّمها إلا أنها لم توفّر له قاعدة اجتماعية تمكّنه من اختراق النسيج الفكري للجماعة "الإنسانيّة/الثوريّة" في المناطق التي ينشط فيها، حيث يرى البحث أنّ الحزب ما زال -بناء على تنظيره- في المرحلة الأولى -أي مرحلة "تكوين الكتلة المؤمنة بفكرته" ولعلّنا إذ نبحث عن أسباب الغياب في الفاعلية لدى الحزب وانكفاء الناس عن الاقتناع بجدواه فكرياً وسوسيولوجيًّا نستذكر ثلاث محدّدات تحليليّة: "تمايُز الاصطفافات" و"أفول الفكرة" و"تشظّي الواقع".

[137] من خلال مراسلات بين الباحث وبين أحد الناشطين في الإعلام والعمل الخيري في الشمال السوري (ريف حلب/ إدلب).

[138] بناء على شهادات عديدة من عدة إعلاميين في ريف حلب وإدلب.

نستندُ في المحدّد الأوّل إلى نظريّة الأكاديمي البلجيكي "توماس بيريه" في تمايز العلماء والدعاة في سورية عن الإصلاحيّين من الناشطين الإسلاميين بناء على الاختيار الفكريّ المسبَق وما يتبعه من تخصُّصات ومطالَبات تميّزُ كل فريقٍ في رؤاه وسلوكه عن الآخر، وعليه فإنّ الواقع السوريّ تقسّم إلى عدّة تيّارات متمايزة ابتداءً، فثمّة "التيّار العُلمائي" الذي تدعمُه السلطة، و"التيّار الحَرَكيّ" -بتشكيلاته المتنوّعة- الذي يقف في جهة مغايرة، إضافةً إلى التيّار "الجهادي" بشقّيه "التنظيمي: جماعات عابرة للحدود أو محلّية" و"الدَولَتِيّ" الذي نجح في تأسيس حالة من "الخلافة المنشودة"، وبالنظرِ إلى واقعِ الناس فإنّا نرى -لدواعٍ كثيرةٍ- جمود الاصطفافات واستقرارها حيث توقّف انتماءُ "العُلمائي" عند شبكته، وكذا الحال عند الحركيّ والجهاديّ، ولم يستطع الحزب في ظل هذه "المساقات" اختراق هذه الشبكات وإنشاء واقع يُحسَبُ له بين هذه الاصطفافات؛ إذ لا يمكن تصنيفه بين "الجهاديين" ولا "الناشطين الإصلاحيين" ولا "العلمائيّين" ومن ثمَّ فإنّه يسبح في تيّار خاصٍ به ضمن نُخبةٍ طغت عليه منذ تأسيسه إلى لحظته هذه.

أمّا المُحدِّد الثاني -أي أفول الفكرة- فنستند فيها على "انغلاق النموذج" عند رؤية محدّدة وتعرّضه للتهدّم بمحض محاوَلة "الانعتاق" عنها أو مراجعتها بغية "التجديد"، ويستحضِر البحثُ عدّة سياقات تُدَلّل على اعتباريّة هذا الرأي، أوّلها: موقفُ "الحزب" من إعلان تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام "الخلافة" في عام 2013؛ إذ إنّ الحزب وقع في تناقض واضح برفضِه بيعة تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" خاصّةً أنّ طلب "النصرة" من "ذوي الشوكة والمنعة" يتحقّقُ عمليًّا بما حقّقه "التنظيم" واقعًا، ممّا استدعى من "أمير" الحزب بيانًا يوضّح فيه الدواعي التي دفعتهم لرفض هذا الإعلان والتصريح بـ "بطلانه"، التي تتلخّص بأنّ "التنظيم" لم يسلك طريق النبي عليه السلام في إقامة الحكم الرشيد -أي الحتمية الثلاثية الشهيرة- إلا أنّ هذا الادعاء يعتريه الوهن والاختلال؛ حيث كان "التنظيم" منذ تشكُّله يدعو إلى إقامة "دولة الإسلام" في العراق، وتهيّأت له إمكانيّات مادية وقتالية وشعبية تضاعفت بانفتاحه على الأراضي السورية وتغلغله فيها، إضافة إلى مكوثه مدّة يواجه فيها النظام بالاشتراك مع فصائل "الجيش الحر" وغيره من التشكيلات، مع عمله بالدعوة إلى إقامة "الخلافة" بين الناس سواء من خلال الخيمات الدعوية أو المسابقات أو الندوات أو المناظرات مع فصائل أخرى[139] وقد تهيّأت للتنظيم نواة قاعدة "تشريعية وتخطيطية" -استعار من التراث مصطلح "أهل الحلّ والعقد" فأطلقه عليها[140]- خوّلته بإعلان قيام دولة الخلافة وتنصيب "البغدادي" أميرًا عليها، فتحقّق بذلك أمران مهمان يدعو إليهما الحزب حقيقةً: "دار الإسلام" "التي لا تفرّقها حدود الطواغيت والحكّام" و"التي تُحكَم بشريعة الإسلام"، إضافة إلى "النواة" التي تنصُر فتعلِن "الخلافة".

تتطلّب عمليّة قراءة رفض الحزب لإعلان التنظيم "الخلافة" استحضارًا مستمرًّا لعددٍ من العوامل ومناهج البحث؛ إذ لا يمكن أن يُفهَم الرفض -إن قرأناه- بمقارَبة المنطق الأيديولوجي الذي يتبنّاه الحزب؛ وذلك لتناقضه حقيقة مع واقع الأمر الذي تحقّقت فيه شروط الحزب "لإقامة الخلافة"؛ ولعلّنا ننطلق في رفضنا لهذه المقاربة من استحضارنا لتاريخ الحزب في سعيه لإقامة دولة الخلافة حيث طلب الحزب "النصرة" في مرّ تاريخه عدة مرات من "نُخَبٍ" قياديّة في عدة أماكن ودول، فقد اتّصل "النّبهانيّ" ذاته -بحسب ما تذكره مجلة الوعي[141]- بالرئيس العراقي عبد السلام عارف طلبًا لإقامة الخلافة الذي اعتذر عن القيام بها نظرًا للصعوبات الإقليمية والدولية

---

[139] حضر الباحث في حلب في عام 2013 عدة أنشطة لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام من بينها خيمات "دعوية" في كل من حي "السكري، بستان القصر، الصاخور، مساكن هنانو" ومناظرة في كيفية إقامة الدولة الإسلامية بين المكتب الدعوي في التنظيم والمكتب الدعوي في حركة أحرار الشام، وكان الاختلاف -حينها- يتمحور حول الأسلوب، لا الهدف.

[140] يرى حزب التحرير أنها غير آمنة أصلاً ولا تستطيع إظهار وجهها.

[141] في مقال: بزوغ نور من المسجد الأقصى، مرجع سابق.

آنذاك، وقد أعاد الحزب بعد مقتله طلب النصرة من أخيه عبد الرحمن عارف[142]، كما حاول الحزب تنظيم عدة انقلابات بمساعدة بعض الضباط، كما في العراق مثلاً حيث تعرّض الحزب للملاحقة والاعتقال واغتيال بعض رموزه من قبل رجال الانقلاب البعثي في العراق بعد نجاحه عام 1968، وذلك لامتلاك الحزب آنذاك شبكة من الاتصالات مع قيادات في الجيش العراقي في إطار طلب النصرة منها والانقلاب على عبد الرحمن عارف، إلا أن انقلاب البعثيين كان أسبَق[143] وقد شهد الأردن محاولة من الحزب في طلب النصرة بعد هزيمة 1967، حيث استقطب عددا من الضباط خاصة في لواء الأميرة عالية[144] إلا أنّ المحاولة فشلت وقُبِض على أغلب منفّذيها، وحُكِم على أربعة عشر فردًا منهم بالإعدام كالنّبهانيّ والداعور والضابط عبد الحليم زلّوم شقيق عبد القديم زلّوم، فيما حُكم بقية الأفراد منهم بالسجن إلا أن هذه الأحكام ما لبث أن أُلغيَت بعد عفو ملكي استطاعت وساطات من أعيان المجتمع الأردني استصداره[145]، وقد التقى وفدٌ من الحزب بالعقيد معمّر القذافي بعد سيطرته على الحكم عام 1978 في لقاء مطوّل استمر النقاش فيه ساعات طويلة كان من بين المحاور فيها طلب نصرته لإقامة الخلافة[146] كما أرسل الحزب وفدًا ضم عددًا من قياداته إلى الخميني لإقناعه بتبنّي نظام الخلافة بدلاً من نظام الجمهورية الإسلامية الذي استقرّ عليه النظام الإيراني إلا أنّ اللقاء لم يسفر عن أي نجاح يذكر مما دفع الحزب إلى اتخاذ موقف سلبي من الخميني وجمهوريّته عقب ذلك فصنفه في خانة العملاء لأمريكا[147] كما نجد الحزب -حديثًا- يوجّه النصيحة للفريق "عبد الفتاح السيسي بإعلان الخلافة[148]، ولكنه على الرغم من هذه الأمثلة التي لم يتحقّق فيها كمال "حتميّته الثلاثية" إلا أنّه ما زال يُصِرُّ على صوابيّة طلبه فيها معتبرًا إياها الأنموذج الأمثل الذي ستُعلَنُ "الخلافة" به.

هذا (الانغلاق) حول (النموذج) يدفع البحث إلى مقاربة رفض الحزب بناء على "الحذر من الضرر المترتب" أو "سد الذريعة" أو "هدميّة الانعتاق" إذ إنّ تحقُّق نموذج الخلافة عبر تنظيمات ما دون "الدولتية" -في حقيقتها- هدمٌ واضحٌ للنموذج الذي استقرّت عليه "حتميّات" النّبهانيّ الثلاث، فالرفض نابع من إنكار واقعٍ تنطبق عليه "رؤى" الحزب أكثر من انطباقها على الحالات التي طلب فيها "النصرة"، وعدَم التحقُّق فيها لا يعني عدم قابليّة النموذج "التحريري" للاستمرار والتحقُّق فيما بعد، إلا أنّ تحقُّقه على يد جماعة أخرى "لا نُخبويّة" قسْرًا من الأعلى إلى الأسفل على الرغم من عدم التزامها بحرفية "رؤية" الحزب -وإن تحققت الظروف التنظيرية والأُطر التي شرطها- ستؤول إلى هدم البناء الفكري الذي قامت عليه هذه الحتميّات، علاوة على فقدان السلطة التي يسعى الحزب

---

[142] نقلا عن المهندس طالب السامرائي عضو قيادة حزب التحرير في العراق آنذاك، ينظَر نظرية التنظيم والتغيير عند حزب التحرير، د. مازن النجار، ضمن كتاب حزب التحرير، مركز المسبار، ص90.

[143] ينظر السابق 90- 91.

[144] ينظر الأحزاب والقوى السياسية في الأردن، 1927- 1987، بليوغرافيا، ص67، ويقارَن بحسام جزماتي، حزب التحرير الإسلامي في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلامية في الوطن العربي، 1/ 746.

[145] ينظر نظرية التنظيم والتغيير عند حزب التحرير، ملف المسبار، ص 91- 92، وينظر حزب التحرير الإسلامي في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلام في الوطن العربي، 1/ 746، 747.

[146] ينظر مذكرة من حزب التحرير مقدمة للعقيد القذافي، 9/ أيلول/ 1978.

[147] ينظر نظرية التنظيم والتغيير عند حزب التحرير، ملف المسبار، ص 92.

[148] "أيها الفريق لعلك تكون أكثر فطنة ووعياً من سلفيك فتقبل نصحنا، وبخاصة وأن لك خلفية إسلامية رأيناها في أطروحتك التي كتبتها عام 2006 أثناء دراستك في الكلية الحربية التابعة للجيش الأمريكي في ولاية بنسلفانيا، فلا يخفُف عنك خزيَ الدنيا وعذابَ الآخرة إلا أن تقطعَ حبلَ أمريكا الممتدَّ إلى الكنانة، وتنصرَ الخلافة والعاملين لها، فتعودَ مصر الكنانة مركزَ الخلافة في الدنيا"

ينظر: http://cutt.us.com/i17SS7Cl

وقد وجّه المكتب الإعلامي للحزب في ولاية مصر بيانا يطالب الجيش بإقامة الخلافة بعد ذلك، ينظر الرابط الاتي: http://cutt.us.com/EyMe6a

على حيازتها في حال تحققت رؤيته التي نظّر لها. وتزداد جوانب هذه المقاربة جلاء من مُوجّه آخر نستخلصه من حالة "حزب التحرير" والحكومات التركية المتعاقبة التابعة لـ "العدالة والتنمية" حيث صَنَّف "حزب التحرير" "العدالة والتنمية" في خانة "خائني الأمة" و"تابعي الغرب" دون أن يَطلُب منهم "النصرة" حتّى، وذلك لأنّ التغيير الذي حقَّقه كان باختراق السلطة تراتبيًّا من القاعدة إلى الرأس، أي أنّ الحَدَثَ تأتّى من الأسفل إلى الأعلى -دون المرور بالحتمية الثلاثية- باختيارِ القواعد الشعبية التي فوّضت "العدالة" عبر الديمقراطيّة ليكون "رأس الحكم" والسلطة، وقبول هذا الاختراق بحدّ ذاته هدمٌ لرؤية الحزب "الحتمية" التي يتبنّاها.

ونلخّص ثاني الأسباب التي تدعم اعتباريّة هذا المحدِّد في قراءة الحزب بالقناعة العامّة بعدم إمكانيّة تحقُّق الخلافة عبر النموذج الذي يراه "الحزب" والذي جمَد عنده نهائيًّا؛ السبب الذي يأخذ بنا إلى محاوَلة فهم "توقُّف" الحزب عن إجراء أي مراجعةٍ لإطاره الفكري منذ تأسيسه قبل 65 سنة إلى غاية هذا اليوم، وباستعراض النقاط المفصليّة التي أدّت إلى الانشقاق والتصدعات في قيادة الحزب عائدة -بمنحىً أو بآخر- نلمَس الطبيعة الاستبدادية التي حكَمت مسارات تطوّر الحزب، كما يُظْهِر ذلك أسلوب التعامُل مع الاقتراحات التي قدّمها "داود حمدان" و"نمر المصري" بتحييد سوريّة عن أنشطة الحزب وما تلا ذلك من نزاعٍ في طبيعة قيادة "النّبهانيّ" للحزب حيث تطغى "فرديته" و"تشكيكاته بقُدرات الآخرين" مما دفعهما إلى اقتراح مبدأ القيادة الجماعية الذي رفضه "النّبهانيّ" بطبيعة الحال، فآثرا مع بعض الأعضاء في القيادة الانسحاب من المشهد؛ ليُحِلّ "المؤسس" الشيخين "عبد القديم زلوم" و"أحمد الداعور" محلّهما[149] ويُظهِره أيضًا انسحاب الشيخ عبد العزيز الخيّاط من الحزب لاحقًا بسبب تصلُّب الحزب في موقفه تجاه جماعة الإخوان المسلمين[150]، إضافة إلى الانشقاقات التي حدثت بسبب موقف "الحزب" من القضية الفلسطينية حيث لا يعنى بالقتال أو الدفاع عنها إلا بالبيانات وانتظار "الخليفة المنتَظَر" لإنقاذها، مما دفع الشيخ أسعد بيوض التميمي للانشقاق عنه وتأسيس حركة الجهاد الإسلامي[151]، ولا يغيب أن نذكر -في هذا المعرض- أخطر الانشقاقات التي تعرّض لها الحزب أي تلك التي جرت عام 1997 حيث قام عدد من أعضاء الحزب في الأردن بتشكيل نواة داخلية لتغيير "القيادة" وقد تشكّلت تلك النواة من "محمد عبد الكريم أبو رامي" رئيس اللجنة الثقافية في الحزب، وأعضاء في لجنة الولاية، مثل عيد القواسمة وإبراهيم جرّار وجميل شاكر مطالبين أوّلًا بإلغاء تبني الحزب لكتاب "حمل الدعوة الإسلامية" وإعفاء مؤلفه "محمود عويضة أبو إياس" و"محمد موسى صبري" من منصبيهما في مكتب الأمير "عبد القديم زلوم" ثم ما لبث أن طالبوا بعزل "الأمير" وتولية "محمد عبد الكريم أبو رامي"[152].

ويعلّق الحزب على القضية بما ذكر في ترجمة الحزب للشيخ عبد القديم زلوم من أنه "في أواخر عهد العالم الكبير حدثت "فتنة النكث"، حيث استحوذ الشيطان على عقول نفر استغلوا حِلمَ الشيخ، فدبَّروا أمراً بليْلٍ، وحاولوا حرف المسيرة عن خطها المستقيم. لقد حاولت زمرة الناكثين تلك أن توجد جرحاً غائراً في جسم الحزب لولا لطف الله سبحانه، ثم حكمة الشيخ وحزمه، فلم تزد محاولات الناكثين عن إيجاد ثلمٍ سطحي لم يلبث أن صحَّ وعاد أقوى مما كان، وانكفأت تلك الزمرة وأصبحت في طي النسيان"[153]، إضافةً إلى المجموعة التي ضادّت توجهات الحزب وأطلقت على نفسها اسم "الحركة التصحيحيّة" لحزب التحرير، حيث رفضت سياسته في فرض الآراء

---

[149] ينظر حزب التحرير الإسلامي في بلاد الشام والرافدين، ضمن الحركات الإسلام في الوطن العربي، 1/ 761، 762.

[150] ينظر مقدمة عبد العزيز الخياط لكتاب عوني العبيدي حزب التحرير الإسلامي، ص16، ويقارَن بكتاب مركز المسبار، ضمن حزب التحرير منعرجات التشكل والانشقاقات، د. حسن أبو هنية: ص170.

[151] ينظر السابق نفسُه.

[152] ينقل هذه المعلومات د. حسن أبو هنية في بحثه "حزب التحرير منعرجات التشكل والانشقاق" عن مصدر لم يذكر اسمه، ينظر ص 172.

[153] ينظر مجلّة الوعي، العددان 234-235، ويقارن بحزب التحرير منعرجات التشكل والانشقاق.

التي يتبنّاها على أعضائه إضافةً إلى تصريحهم بنقطة "التجسس على أعضاء الحزب من قبل خلايا تابعة للقيادة" منتقدين هذا الطابع الأمني البوليسي الذي يحكم العلاقة بين قيادة الحزب وأعضائه، ليخرجوا عن دائرته ويتوجهوا إلى آراء أكثر راديكاليّة من تلك التي يجري العمل عليها في أوساطه[154].

تشير هذه التصدُّعات المتكررة إلى أنّ "انغلاق الحزب" على نفسه كان عامل استقرار "أساسيٍّ" و"مركزي" في استمرار وجوده، فهو بذلك شبيه بالاستراتيجية "التوتاليتارية" التي لا تسمح بأي انشقاق فيها ولا تتسامح معه، وينطبق هذا المنظور عليه من ثلاث نواحٍ: أوّلها: عدم حصول أي تجديدٍ أو مراجعةٍ فكريّة لرؤى الحزب "التنظيرية" العامّة منذ نشوئه إلى الآن، وثانيها: تشقُّق الحزب عند محاولة "تعديل مساره" وتصحيح "رؤاه"، ممّا يشير بوضوح إلى انغلاقه التام على أي تيّار أو فكرٍ ينقض النموذج الذي يسوّقه، ثالثًا: رفضُه التغيير الذي لا يندرج تحت قيادته، حيث نستحضر رفضه "إعلان تنظيم الدولة الخلافة" ووصفه إياها بالبطلان، إضافة لتصنيفه الحكومات المعتدلة التي انبثقت من الأوساط الشعبية ضمن "أذرع" الغرب وعملائه، لما في ذلك من هدمٍ واضحٍ لسرديته التي أقام عليها خطة الحزب ومستقبله -أي الحتمية الثلاثية-.

يذكّرنا كلُّ ذلك بتمركز الحزب حول "النّهانيّ" والمفاهيم التي رسّخها فاستقرّت في بنية الحزب ورؤيته "حتميّةً" مغلقَةً لا يمكن تجاوزها أو استكمال النموذج إلا بها، بقضيّة "القائد الملهَم" الذي يضعُ فكرةً، ثمّ يصبحُ رسولها المبشّر بها[155]، وبالتالي فإنّ الحزب بمستوياته التي يمثلها "الأمير" سلطةً حاضرةً، و"المؤسّس" زعيمًا مبشّرًا، و"الحتميّة الثلاثيّة" إطارًا حاكمًا، يندفعُ نحو الانفصال عن الواقع في انعزال شعوري يأمل التغيير من فوق بناءً بجهد طليعةٍ ثوريّةٍ تقلب الأوضاع القائمة "صداميًّا" رأسًا على عقب.

وأمّا ثالث المحدّدات لفهم واقع الحزب في سوريّة -أي تشظّي الواقع- فتقودُنا إليه ترابط رؤيةِ الحزب الشموليّة وصلابته التنظيميّة ومحاولاته المتكررة في قسرِ رؤاه على الواقع السوري سواءً بالصدام الكلاميّ تارةً أو بالتلاعُب العاطفيّ بمشاعرِ الناس واستغلال واقع التراجعات التي تعاني منها "الثورة" لدفعهم لتأييده والإيمان بشعاراته تارةً أخرى، ممّا يوضِّح مدى سطحيّة الرؤية التي يعتمدها الحزب في التعامل مع الواقع السوري اليوم.

تفترض الصلابة التي يحملها الحزب "فكريًّا" و"تنظيميًّا" طاعةً مطلقَةً من قِبل الكوادر التي تدور في فلكه، إلا أنّ الواقع السوري يعيش واقعًا شديد التشظّي حول التيّارات والانتماءات، وكما تبيّن سابقًا فإن خيار الاصطفاف مع "الحزب" في أضعف حالاته وعليه فإن الرؤية الحديديّة لهذا الحزب لن تجد أرضيّة واسعةً لها في هذا الواقع "المصطَفِّ مسبَقًا".

يدعم هذا الرأي عدم اهتمام الحزب يومًا ما بأيّ نشاطٍ كان سوى أنشطة التثقيف إنشاء الكتلة التي تؤمن به فلا يقدم خدمات خيرية أو إغاثية أو طبيّة أو ميدانيّة عسكريّة لقوى الثورة، أي أنه ليس فاعلاً في الميدان السوري بأي شكل يضمن له الانتشار بين الناس، علاوةً على ذلك فإن المزاج الشعبيّ السوريّ بات -بحكم ما أحدثته الثورة من تَغَيُّرٍ هائلٍ في مستويات التفكير والتلقّي- متوجِّسًا من التأييد المثالي للشعارات الرنّانة؛ إذ إنّ نجاح أي جماعة أو حزب في سوريّة مرتبطٌ بمدى تأييد المجتمع له ودعمه، ووسيلته في ذلك الفكر الذي يحمله ومدى قربه من واقع المجتمع واحتياجاته، ومدى تقبّله للتنوع العرقي والديني، ومدى واقعية أفكاره وإمكانيّة تطبيقها، فلم يَعُد الناس يندفعون نحو الشعارات التي لا تجد طريقها إلى الواقعية فتبقيهم معلّقين بين جحيم الواقع وجنّة الشعار.

---

[154] نقلاً عن الجماعات الإسلامية ومشاريع التغيير، مصطفى الحسناوي الميسوري، مقال مطوّل نشر على موقع مغرس بتاريخ 2011/2/7. http://cutt.us.com/dZ0nacl

[155] ينظر: سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط2، 1997م، ص 127.

3. حزب التحرير "إرث الماضي ومآلات المستقبَل"

خاض حزب التحرير في خطّه التاريخي كثيرًا من التطوّرات الميدانية وخضع للعديد من الانشقاقات في تنظيمه الهرميّ، وقد أضاف مفكروه ومؤسسه العديد من الكتب الفكرية والأدبيّات الحزبية والسياسية تعدُّ من أضخم ما كتبه مؤسّس لحزب سياسيّ في الوطن العربي، ولعل أهمّها تلك التي تتمحور حول رؤى النّبهانيّ عن الخلافة وأجهزة الدولة وشكل الحكم الذي ينظّر له كما في كتب: "نظام الإسلام"، "التكتل الحزبي"، "مفاهيم حزب التحرير"، "النظام الاقتصادي في الإسلام"، "النظام الاجتماعي في الإسلام"، "نظام الحكم في الإسلام"، "الدستور"، "مقدمة الدستور"، "الدولة الإسلامية"، "الشخصية الإسلامية"، "مفاهيم سياسية لحزب التحرير"، "نظرات سياسية"، "الخلافة"، "التفكير"، "سرعة البديهة"، "نقطة الانطلاق"، إضافةً إلى أعدادٍ كبيرة من المنشورات الفكرية، والسياسية والاقتصاديّة القصيرة، كما أصدر عدداً من الكتب بأسماء أعضاء من الحزب ليتسنى له نشرها إبّان الحظر القانوني الذي فُرِضَ على تداول كتبه ونشرها، منها: " السياسة الاقتصادية المثلى"، "نقض الاشتراكية الماركسية"، "كيف هدمت الخلافة"، "نظام العقوبات"، "الفكر الإسلامي" إضافةً لإصداراته قبل تأسيس الحزب كلًّا من "إنقاذ فسلطين"، و"رسالة العرب"[156]، فأنتج الحزب لغة مميّزة واجتهادات ملموسة في التنظير الدستوري والتوليف بين معطيات الدولة الحديثة ومفاهيم التراث الفقهي، إلا أنه تجمّد عند رؤية "حتميّة ثلاثية المراحل" لا يمكن تجاوزها نظرًا لقيام الحزب عليها، فتمسّك بها على مدار 65 عامًا دون أن يتمكّن أحد اختراقَ هذه الرؤية أو تعديلها مع ضمان بقائه ضمن التنظيم، على الرغم من حدوث تحوّلات كبرى في المستويات كافة، الديني منها والشعبي في هذه السنين الطويلة، إلا أنه ما زال واقفًا عند لحظة التأسيس ومفاهيمها.

وكما مرّ الحزب في عدة مناطق بهزّات أصابته وتعرّجات سببت له التصدّع فقد مرّ بسبب القضيّة السوريّة في الخمسينات بأوّل التشقّقات التي أثّرت في بنية مجلس قيادته الأوّل، بإخراج النّبهانيّ للسيدين نمر المصري وداود حمدان منه وإقرار آخرين مكانهما، واستمرّ بوجوده فيها بين الخفاء والعلَن حتى دخوله مرحلة التسلّط البعثي ثم الحقبة الأسديّة في عهدي الأب والابن، متعرّضًا فيها إلى شتى أنواع المضايقات والاعتقالات.

انطلق الحزب في تعامله مع الثورة الحاليّة من قواعده الأيديولوجيّة وقد تعاملت قوى الثورة معه من منطلَق الحرية التي ينادي بها أفراد الشعب الثائر بناءً على أنّ الحزب يقدّمُ رؤيةً ولا يفرضها، إلا أن واقع تعامل الحزب مع مجريات الثورة وجموده الواضح حول ميراثه التأسيسي وتسويقه لذلك الميراث بسبُل شعاراتية عاطفية دفع بعض الثوار إلى وصفه الحزب -وسُبُله[157] في تسويق نفسه واستجلابه التأييد الشعبي- بأنه "الخارج عن التاريخ" و"المُغرّد خارج سرب الثورة" ومطالبها، وقد يكون لتمادي أفراد الحزب في المواجهات الكلامية والصدامات مع نشطاء الثورة آثارًا واضحةً في رفضه وملاحقة أعضائه واعتقالهم وربما المطالبة بحظره مستقبلاً في ظل المتغيرات الحالية مع عدم تقبّل أفراده للنقد ومراجعة أفكاره لتكون مقبولة لدى الشعب السوري. وينبّهنا إطلاق التصنيفات القاسية في حقه من قِبَل الشارع إلى مدى احتمالِ استمراره في المستقبل في حال انتصرت الثورة أو خسرت حيث يترجَّحُ -لديّ- بصورةٍ أشبه باليقين أنه لن يتمدّد في القواعد الشعبية كونه "حزب حيطان"، أو "بخّاخات" أو "حزب الشعارات والبيانات والطابعات"، وعليه فإننا نقدّر بعد قراءتنا الموسَّعةِ لواقع الحزب وتاريخه ورؤاه عدم إمكانِ تمدّده مع الاعتراف بإمكانِ بقائه نظرًا لصلابته الهيكلية وسريته التنظيمية ونشاطاته الإعلامية ذات الخبرة المتراكمة والواضحة.

---

[156] ينظر العدد (234- 235) من مجلّة الوعي.

[157] الأعلام، المظاهرات، الشعارات، الندوات.

ختمٌ وإيجاز

- يمتلك حزب التحرير قاعدة فكريّة واسعةً من حيث التنظيرات السياسيّة والأدبيّات الحزبيّة، إلا أنّها قواعد مغلقة لا مرونة فيها أو إمكان لتجديدها ومراجعتها، ومن ثمّ فإن محض محاوَلة ذلك سيؤدي بالحزب إلى التشقّق والتصدّع.
- نرجّح أنّ أهم أسباب شهرة حزب التحرير تعود إلى مؤسسه "النّبهانيّ" إضافة إلى لحظات تأسيسه الأولى التي اعتمدت مركزيّة "الخلافة" قضيّة نهائيّة يقوم الحزب عليها ويعمل لأجلها في ظل الانهزامات المتتالية التي عاشتها الأمة وما زالت، مما جعل رؤى الحزب وتنظيراته معتمدة بكُلّيّتها عليها.
- كان تماسُك الحزب في بنيته التنظيميّة سببًا في استمراره الوجوديّ على الرغم من تآكل رؤيته فكريًّا وعدم انطباقها على الواقع الحاليّ أو إمكان تحقّقها في المآلات المستقبليّة، إلا أنّ ذلك لا يمكن وصفه بالرسوخ الداخليّ أو الصلابةِ المطلقة، نظرًا لهشاشة الحزب -داخليًّا- أمام حركة التجديد ومحاولة المراجعة، مما يعني إمكان انشقاق قياداته عنه بمحض انعتاقهم عن الأفق المغلَق الذي يستشرفه الحزب وينظّر له، ومما يزيد ذلك تأكيدًا حركةُ الانشقاقات التي تكرّرت منذ تاريخ نشأته إلى أعوام قريبة.
- حاول البحث تجذير رؤية تحليليّة جديدةٍ في فهم ظروف نشأة الحزب وعواملها وغايتها، تعتمد على تأثر النّبهانيّ بالمحيط الثقافي في التفكير والعامل النفسي في إثبات الذات والدفاع عن الهوية، ليخلص إلى أنه انطلق في تأسيسه حزبه النخبوي من دائرتين ثقافيّتين أفرزتهما تربيته الدينية ومحاولته التوفيق بينها وبين قراءاته المعمّقة في النظريّات الشموليّة المجرّدة والتنظيمات المغلقة التاريخيّة منها والمعاصرة التي انتشرت في القرن الذي عاشه، ليجمع شتات ذلك في كتلة ذات شقّين: "تنظيريٍّ" ضمّنه في كتبه المتفرقة و"تنظيميّ" أسّس عليه حزبه ومراحل تطوّره ووصوله إلى الحكمِ "المنشود".
- يقارِب الحزب القضايا السياسيّة بمنطق متعالٍ عن الواقع فرضته عليه رؤاه "المثاليّة"، ومن ثمّ فإنّ الحزب إذ يبدي مواقفه من الثورات العربيّة وقضايا المنطقة يستحضر قواعده وغاياته في كل خطاب أو شعار أو بيان أو تعليق يصدره تجاهها، وسيستمرُّ على المنوال ذاته ما استمرّ تبنّيه لهذه القواعد وعمله لهذه الغايات.
- بناء على ما تقدّم فإنّ هذه الورقة -إثر تحليلها واقع الحزب في سوريّة- تستشرف عدم إمكان تمدّده في الأراضي السوريّة مع استمرار تمسّكه بتنظيراته الحاليّة، لعدم وجود قواعد تدعم تمدّده أو فعاليّات ميدانيّة اجتماعيّة الطابع تسوّق له، أو انتماء كتلة من القوى العسكريّة إلى قواعده ورؤاه، أو غير ذلك من الأسباب التي ترجّح التوسّع والانتشار، حيث يكتفي الحزب بالأنشطة "التثقيفيّة" التي أقرّها "المؤسّس" في إطار تكوين المرحلة الأولى من الثلاثيّة الشهيرة التي ترسم دائرته الحتميّة، والتي يخلص البحث إلى عدم إمكان تحقّقها في ظل تطوّر الواقع الدولي والتنظير السياسي وتغيُّر خطاب الحركات الإسلاميّة الأخرى في شتى السياقات والآفاق.

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

مول اوف اسطنبول ـ مكاتب بلازا
طابق/2 ـ مكتب 3# ـ باشاك شهير
اسطنبول - تركيا

+ 90 555 056 06 66

/jusoorstudies
/jusoorstudies
/jusoorstudies

info@jusoor.co
www.jusoor.co